بداية طريق

اســـــم الكتـــــاب: بدايـــــــــة طريـــــــــق
المؤلـــــــــــف: محســـــــــن مـــــــــاهر
نـــــوع العمـــــل: تنميـــــــــة بشـــــــــرية
مراجعـة وإخـراج فنـي: عمـــــرو ســـــالم ســـــواح
رقـــــم الإيـــــداع: 2020/ 21880
التـــــرقيم الـــــدولي: 978-977-835-224-5
الناشـــــــــــــــر: دار زحمة كتاب للنشر والتوزيع
١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر Facebook
za7ma-kotab@hotmail.com Email
002 01205100596 Tel
002 01100662595

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار زحمة كتاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة باي شكل
من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

بداية طريق

للكاتب

محسن ماهر

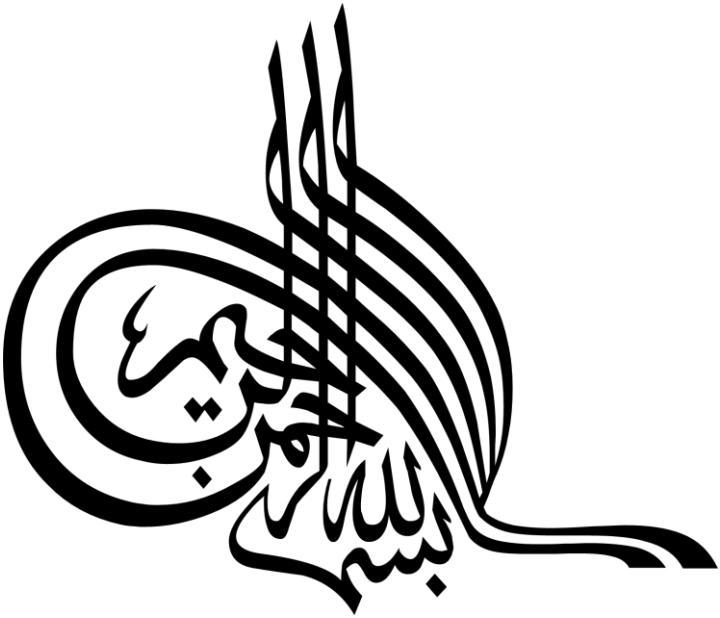
بسم الله الرحمن الرحيم

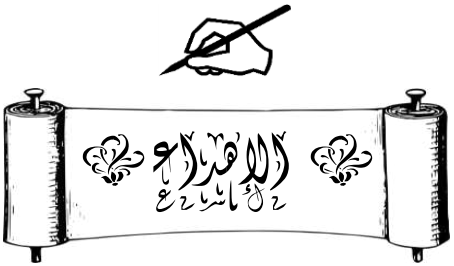

إلى روح أمي

لن أنساكِ يومًا، تمنيت لو توقفت عجلة الزمن حتى أحيا بجانبك المزيد من الوقت؛ فالحياة بين أحضانك لا يدخلها الحزن أبدًا، ستظلين خالدة في أعماق قلبي إلى الأبد. أسألكم الدعاء لها..

إلي أبي

قد يأخذ اللّه منا ما لا نتوقع ضياعه؛ ليعطينا ما لا نتوقع امتلاكه، في السابق لم أكن أعي معنى السند، ولكني أحسسته حين امتلكت أبًا صديقًا صادقا، فالعمر المديد لك.

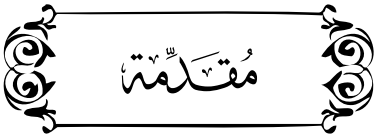

قد تقضي الكثير من عمرك تبحث عن صديقٍ يفهمك، أو أب حنون يأخذك بين أحضانه.

قد تبحث عمَّن يداوي تلك الآلام الساكنة في قلبك، ويزرع مكانها بستانًا تشرق عليه الشمس كل يومٍ لتعطيه لونها المبهج.

قد تبحث عن حياةٍ أخرى تسير فيها وفق قوانينك الخاصة، لا يوجد فيها أي معنى للحزن.

قد تبحث يومًا عن نفسك التي لم تعد تعرفها.

هذا الكتاب سيكون رفيقك، سيعيش معك أوقات سعادتك وحزنك، سيخبرك كيف أصابك الحزن وكيف تتعامل معه، وكيف تأتي بالسعادة لقلبك، حتى تعيش حياتك إنسانًا متزنًا، لا ينكسر أبدًا.

وقبل البداية، اعلم أنه لا يستطيع أحدٌ فهم أعمق الشعور لدى الآخرين، يكفيك أن تفهم شعورك وحسب..

فهل أنت مستعد لبداية رحلتنا؟

★★★

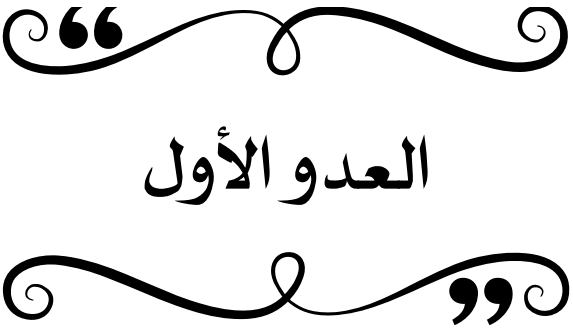

العدو الأول

" الاكتئاب ليس علامة ضعف، بل هو إشارة إلى محاولتك أن تكون قويًّا لفترةٍ طويلةٍ جدًّا "

سيغموند فرويد

أحببت أن تكون تلك بداية أولى حكاياتي، ذلك الشعور الخفي الذي يسكن قلبك ولا تعلم مصدره.

في الحقيقة أنت تظن أنك لم تعد تعلم شيئًا!، فحياتك الآن لم تأتِ في خيالك أو حتى أحلامك يومًا.

لا تعلم ماذا حدث لك! هل ما زلت الإنسان الذي لا تحمل روحه سوى السعادة والابتسامة؟! أم أن هناك رياحًا أثقلتها ومنعت شروق شمسها منذ ذلك اليوم؟

هكذا تحدث نفسك كل يوم في غرفتك المظلمة التي تركت كل حياتك خلفها، تركت أحلامًا تمنيتها في صغرك وعزمت يومًا على تحقيقها، تركت أهلك الذين يناجون ربهم أن يخرجك مما أنت فيه.. حتى لو كانوا سببًا من أسباب ما أنت فيه!

ولكن دعني أسألك يا صديقي: هل لم يأت وقت إجابة تلك الأسئلة؟! أو بمعنى آخر، هل تريد حقًّا تلك الإجابة؟ أم أنك استسلمت لما أنت فيه؟!

أعتقد أنك لم تستسلم، والدليل على ذلك أنك ما زلت تقرأ كلماتي، فدومًا ما تكون تلك هي البداية.. **بداية الطريق**.

قبل أن أجيب عن أسئلتك، أو بمعنى أدق، قبل أن تجيب أنت عن نفسك، دعني أخبرك ببعض الأشياء، هي ليست مفاهيم معقدة أو كلمات عميقة، وإنما هي ترجمة لشعورك الآن.

إن الطبيب لا يستطيع وصف الدواء لمريضه دون فحصه، كذلك نحن، لن نستطيع مواجهة عدونا قبل أن نعرف عنه بعض الأشياء حتى نتمكن من سحقه دون رجعة.

علميًّا يطلقون على هذا الشعور مصطلح اكتئاب، مهما اختلفت تعريفاته أو المجلدات التي كتبت فيه، ففي النهاية هو مرض يصيبنا ويسبب لنا الشعور بالحزن، عدو يريد أن يحتل أرضنا ويأسر قلوبنا.

تؤثر تلك الظاهرة على ٣٠٠ مليون شخص تقريبًا حول العالم، رقم ضخم أليس كذلك؟ هذا يعني أن٣٠٠ مليون شخص آخرين يعانون من ذلك العدو معنا، تبكي قلوبهم من قسوته، وتدمع أعينهم من الجروح التي تركها لهم.

ولكن في الجانب الآخر هذا يعني أننا لن نواجهه بمفردنا، فكما يمتلك جيشًا يسير من خلفه، نحن أيضًا نمتلك شيئًا أقوى..

نحن نمتلك المحارب الذي لا يقهر، والذي لم يخف يومًا أو يتراجع عن خوض معركة..

نحن نمتلك أنفسنا

إن نفسك البشرية هي التي أرشدتك إلى وجود هذا العدو يطوف حولك، أخبرتك أن عليك مواجهته، هي لا تتذكر أنك تراجعت يومًا عن خوض أي معركةٍ في سبيل سعادتك، كنت وما زلت المحارب الأقوى في هذا العالم.

فهيا بنا يا صديقي نبدأ رحلتنا..

كما أنّ للأمراض أنواعًا، كذلك أيضًا للأعداء، والخطوة الأولى في المعركة هي تحديد العدو.

أي شبح من أشباح الاكتئاب علينا مواجهته؟!

هناك اكتئاب يسمونه بالاكتئاب الشديد، وهو الذي تواجه فيه فقدان متعة الأشياء، أي تجد نفسك وسط ما تحب ولكنك لا تشعر بقيمته!

تتعجب من نفسك وقتها وتسألها.. لماذا لا تشعرين؟ إن هذا ما تفضلينه، أو الشعور بالذنب، تجد نفسك تقول لم فعلت هذا؟ لم يجب أن أفعله، إن كنت فعلت كذا وكذا كان سيحدث شيء آخر.

هون على نفسك يا صديقي، فإن ما فعلته لو عاد بك الزمن مرة أخرى لفعلته ثانية، إن عقلك لم يتغير بعد، وما زلت نفس الشخص.

فكيف ستفعل شيئًا آخر إن عاد بك الزمن، هو مجرد الشعور بالذنب، أحد جنود الاكتئاب.

من أعراضه أيضًا الصعوبة في التركيز، وهذا ما نعانيه جميعًا في بعض أوقات حياتنا، تجد نفسك دومًا مشتت الانتباه، لا تستطيع الاختيار، ماذا تريد؟ لا تعلم.

في الواقع نحن جميعًا نصاب بتلك الحالة في إحدى مراحل حياتنا.

ثاني أنواع الاكتئاب هو الاكتئاب المستمر، يزيد عن الاكتئاب السابق في أنه يبقى معك لفترةٍ طويلة، قد تعانيه لعدة سنوات وأنت لا تعلم، ومن أعراضه فقدان الطاقة حيث تجد نفسك لم تعد تستطيع فعل شيء، ليس كسلًا وإنما صوت من داخلك يخبرك ألا تفعل، يخبرك أنه لا فائدة، فتجلس ثانية وتحتضن أحزانك مجددًا.

من أعراضه أيضًا الشعور الدائم بانقطاع الأمل، حين كنا صغارًا كانوا يسألوننا السؤال المعتاد لمرحلة الطفولة: "نفسك تبقى إيه لما تكبر؟"

وهنا كان يبدأ خيالنا في التحدث بدلًا عنا، فالبعض يرى نفسه طبيبًا يعالج المرضى، والآخر مهندسًا يبني الأبراج، وأخرى تتخيل نفسها مضيفة طيران، كانت حدود أحلامنا واسعة، كنا نتحدث بخيالنا ونرى المستقبل يبتسم لنا ويخبرنا أننا يومًا سنكون هناك لتحقيق أحلامنا، ولكن الآن!

أنت لا ترى غير اللون الأسود، تعتقد أن باقي الألوان قد رحلت دون رجعة.

وسأكتفي معك بذكر ثالث أنواعها وهو اكتئاب المواقف، الاكتئاب اليومي الذي تواجهه حينما لا تعلم ما هو التصرف الأمثل لموقف مر عليك الآن.

شخص ما قد استهزأ بوزنك الذي يراه كبيرًا إلى حد البشاعة وأنت تسير في طريقك إلى عملك، صديقة تلفظت بجملة كانت كحجر وقع على قلبك، ماذا نفعل في كل هؤلاء؟!

وما مصير مشاعرنا؟ هنا نخضع للاكتئاب اليومي أو كما يسمونه، اكتئاب المواقف.

هؤلاء هم أقوى جنود الاكتئاب، بالطبع يوجد الكثير غيرهم، ولكن هؤلاء هم قادة الجيش، الذين يلقون بالأوامر إلى باقي أصدقائهم فينفذونها دون تفكير.

هل علمت الآن أي جندي سوف تواجه؟ هل عرفت عدوك؟

قد نجحنا في الخطوة الأولى يا صديقي

وصلنا الآن إلى الخطوة الثانية في رحلتنا أيها الرفيق..

حتى نعلم خطر من نواجهه وماذا يمكنه أن يفعل بنا يجب عليّ أن أخبرك ببعض أسراره.

إن الاكتئاب من الظواهر الأخطر حول العالم، حيث إنه تبعًا للإحصائيات وجد أنه يستهدف الفئة العمرية ما بين١٥_٢٩ عامًا،

يا لبشاعته!، إنه يستهدفنا ونحن في بداية شبابنا نريد أن نحلق بحياتنا، فيذكرنا بما نحن فيه من مشاكل وعقبات ستمنع وصولنا لأهدافنا، كأنه يقول لنا: هل تعتقد حقًّا أنك ستمر بين كل هذا دون أن يكسرك؟! هل تأثرت بتلك الأفلام والروايات ذات النهايات المضيئة لدرجة جعلتك تظن أنك أحد أبطالها؟

استيقظ يا عزيزي، لن تكون مثلهم، إنهم مجرد خيال..

ومن هنا يبدأ الصراع بداخلك، صوت يناديك ليؤكد لك حديث صاحبه، وآخر يصرخ فيك لتستمر في المحاولة، يذكرك بأمجادك التي حققتها، والعقبات التي تخطيتها، يقول لك: لا تيأس، فأنت لم تفعلها يومًا، فهل ستستسلم الآن؟! أكمل الدرب يا رفيقي، فأنا معك وسأظل دومًا بجانبك، سأحميك من تلك الأصوات، لن أتركهم يستحوذون عليك، أنت صديقي أنا فقط، أنا من عشت معك أيام الحزن والفرح، لم أتركك يومًا.. فهل تعتقد أني سأفعلها الآن؟!

إن تغلبك على تلك الأصوات التي بداخلك يعد أصعب مراحل العلاج.

قديمًا قال حكيم:

"من لا ينتصر على نفسه لن ينتصر على غيره، فالمهزوم من هزمته نفسه قبل أن يهزمه عدوه"

تعتقد إن انتصرت على نفسك فمن يستطيع مقاومتك! حينها ستخضع لك كل أفكارك الشريرة التي لا تريد سوى هلاكك، وأنت

تريد النجاة، فهل ستحاول اليوم ثانية؟ أم ستتركها حتى تجعلك أسيرًا لها!

إن الله حين خلقنا، بعث في قلوبنا رحمة تضيء لنا الطريق، ووهب لنا عقولًا تجعلنا نفكر قبل أن نتخذ قرارًا قد نندم عليه لاحقًا، الله لا يريد لك الندم، إنما يريد فقط النجاة والراحة لقلبك.

من يكن بجانبك في كل مأزق تمر به! يشعر بك قبل أن تنطق بكلمة واحدة، حتى وإن كنت تحدث نفسك؟ هو الله يا صديقي.. الله وكفى.

اقرأ بقلبك واستشعر عظمة معانيه، يقول الله ﷻ:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ ﴾ [الفتح: ٤]

الله يرسل من رحمته نسمات تصيب قلوب عباده الذين يريدون عونه ورحمته، فهو القادر على أن يهب قلبك الثبات والهدوء الذي يستطيع به التغلب على ما أهمه، فهو يرسل السكينة في قلوب جنوده في الأرض حتى يزدادوا إيمانًا وثباتًا على ما يحاربون لأجله، إنهم يحاربون لأجل الله ورفعة كلماته.. ألا يكفي هذا؟!

كذلك أنت، إنك تحارب في كل لحظة حتى تنتصر على ذلك الشعور، تنادي كل ليلة وتقول: يااااارب.. يا مولاي، ليس لي غيرك، أعلم أني لست نعم العبد، ولكنك نعم الرب، فهون علي برحمتك،

ثم تغمض عينيك وأنت تثق وتطمئن أنه لن يرد دعاءك خائبًا، لديك يقين أنه سينصرك، فلم يخذلك يومًا سبحانه.

وأما عن قلبك فطمئنه دومًا بقول ربه:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾

[الرعد: ٢٨]

إن الله يعلم ما أصاب قلبك، لن يتركه لا حيلة له وسط تلك المواجع والأحزان، تأكد أنه سيرزقه الصبر.. سيرزقه العوض.

وهنا ننتقل لجانب آخر.. ما أصابك لم يكن إلا رحمة من عند الله، ستندهش الآن وتسألني كيف يكون الحزن رحمة؟!

هل كسرة قلبي التي أعيشها الآن رحمة من عند الله.. ماذا تقول؟!

إن الله تعالى حين أراد لك الحياة، أرادك قويًّا، والقوي هنا ليس مفتول العضلات والبنيان، وإنما قوي النفس، الذي يتماسك رغم كل ما مر به فلم يسلم نفسه لأهوائها، هو يعلم أنها تريد إضعافه بتلك الذكريات الحزينة التي تمررها على عقله.

يعلم أنها كما قال عنها ربها نفس أمارة بالسوء، فاصبر على تلك الأحزان، واعلم أنها ستمر، ولكن كيف يكون التعلم دون أخذ الدرس، الله يلقنك دروسًا تجعلك القوي الذي بحبه، فإياك أن تعتقد أنه يريد الحزن لك ولقلبك الضعيف.

﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ﴾

[فاطر: ٣٤]

إن تلك الآية تمثل لنا الكثير من التفاؤل والتعلق برحمة الله، فهنا تعلم أن حزنك لن يستمر.. حتى وإن طال، تتأكد أن رحمة الله آتية لا محالة، ولكنها لن تكون كما توقعت يومًا، لن تكون مجرد رحمة.. إنما هي فرحة عظيمة جزاء صبرك، فرحة ستنسيك كل ما آلمك، ستستعيد معها بريق الحياة، وستشرق روحك من جديد.

إن الله يعلم كم عدد الثواني والدقائق والساعات والأيام التي قضيتها في محاربة هذا العدو، هو لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فهل تعتقد أنه يخفى عنه حالك!

قد تخرج مع أصدقائك في كل ليلة وتمرح وتضحك معهم ثم تعود إلى بيتك لتبتسم لأهلك وتجلس معهم بعض الوقت قبل أن تدخل إلى غرفتك، مسرح أحلامك، الذي يكون في بعض الأوقات أجمل واقع تعيشه، وأحيانًا يكون الأسوأ!

الله يكون معك في كلتا الحالتين، يبتسم إليك في فرحتك ويزيدك عندما تشكره، وينظر إليك أيضًا في وقت أحزانك، يرى هل ستتعلم الدرس من البلاء؟ أم ستتركه يأسرك ويدمر قلبك.

حين نسأل أنفسنا وهل نستطيع الصبر؟! أم هي مجرد كلمات نطمئن بها فؤادنا ولن نستطيع فعلها على أرض الواقع؟

هناك حديث قدسي يحاور الله تعالى ملائكته حينما يأمر ﷻ بقبض روح أولاد أحد عباده فيسألهم بعد ذلك كيف وجدوا عبده.. أكان صابرًا أم ساخطًا؟

هيا بنا نكتشف الإجابة معًا..

عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: "إِذَا قُبِضَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ الْعَبْدُ يَسْأَلُ اللَّهُ الْمَلائِكَةَ، فَقَالَ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ فُلانٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ رَبَّنَا، قَالَ: فَمَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ قَالَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَقَالَ: أَخَذْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ وَحَمِدَنِي وَاسْتَرْجَعَ، ابْنُوا لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ ".

الله يعلم حجم الإصابة التي أصابت قلب عبده، ولكنه كان يريد معرفة هل سيصبر عبده، أم سيقول لماذا اخترت ابني ولم تختر أحدًا آخر؟

يريد الله أن يعلم العبد حقيقة شعوره تجاه ربه أهو حقًّا يحبه أم لا؟

هنا ترك العبد شعوره بالألم لجرح قلبه في وفاة فلذة كبده وتفكر برحمة الله والدرس الذي يريده أن يتعلمه.. درس الحمد.

"من المفترض أن يدفعنا القلق إلى العمل وليس إلى الاكتئاب، فليس حرًّا من لا يستطيع السيطرة على نفسه."

فيثاغورث

إن قلقك من الغد يا صديقي لا يجب أن يحرمك من الشعور بملذات حياتك، لأنك لا تعلم ماذا سيكون في الغد، قد يكون فيه حلمك الذي سألت الله به كثيرًا، وقد يكون فيه جبر خاطرك الذي صبر على كل الآلام واحتسبها عند الله، قد تكون فيه سعادتك وشروق روحك من جديد.

فلمَ القلق أيها الرفيق؟

كلنا نحلم بالغد الأفضل، الغد الذي سيطهرنا من كل الجروح التي آلمتنا، الغد الذي سيكون فيه نصرة قلوبنا، وفرحتها التي ستدوم للأبد.

إن ما تواجهه يا صديقي ليس بالعدو السهل، إنما هو العدو الذي يفتك بالأرواح، ولعل خير مثال على ذلك ما سأحكيه لك الآن..

سأحدثك الآن عن الموسيقار الأسطوري بيتهوفن، صاحب أعظم السيمفونيات التي مرت على العالم، ستندهش الآن وتسأل نفسك: كيف لهذا الشخص أن يصاب بالاكتئاب؟

كيف لم تمنعه كل تلك النجاحات؟

كيف ضعفت نفسه أمام هذا العدو؟!

كما قلت لك يا صديقي، عدو يفتك بالأرواح، لا يتوقف أبدًا، إن لم نواجهه ونتغلب عليه ونطرده خارجنا إلى الأبد.

عانى بيتهوفن من الاكتئاب لمدة طويلة، حتى إنه أدمن الكحول، ظنًّا منه أنه سوف يخلصه من تلك الأوجاع، كما نفعل نحن أحيانًا، نحاول أن نهرب حتى لا نواجه مشاكلنا، نخاف أن يصيب القلب هم أو حزن، فنسرع إلى الهروب.

إدمان بيتهوفن للكحول ظل معه طويلًا حتى إنه في النهاية توفي بسبب كبده المتضرر.

شخّص أصحاب بيتهوفن إصابته بمرض الاكتئاب ثنائي القطب، حيث قالوا إنه تغير معهم في الكثير من أفعاله، لم يروه كما اعتادوه، حتى ذكر الكاتب فرانسوا مارتن مايو في كتابه "حياة وموت بيتهوفن" أن بيتهوفن ظهرت عليه تغيرات وتقلبات كبيرة في المزاج بالإضافة إلى ميله للاكتئاب والانتحار، ما يدل على إصابته بالاضطراب ثنائي القطب وقد كانت تلك نهايته.

أنت لا تريد تلك النهاية يا صديقي، بالطبع لا أقصد أنك سوف تدمن الكحوليات، وإنما الحزن الذي تخفيه بين ثنايا صدرك كفيل بإنهاء حياتك وجعل هذا القلب تتوقف نبضاته لأنه يئس من تلك الحياة!

أنت لا تريد هذا..

قد قضينا وقتًا ليس بالقليل في الخطوة الثانية، فهل حان الوقت لنعبر إلى الخطوة التالية؟!

لكي تنجح في حربك يا صديقي يجب أن يكون لديك شيء يسمى **التحفيز** وهو ما سيجعل جنودك لا تتوقف عن قتال هذا الشبح حتى تنتصر، كما في الحروب بين الدول تجد الرؤساء وقادة الجيش يعدون الجنود بالغنائم والأموال وكل ما يريدون في سبيل تحقيق النصر.. لكن حربك أقوى من أي حرب سفك فيها دماء وشرد فيها أطفال!

إنها الحرب بينك وبين نفسك..

نفسك هو الشخص الوحيد القادر على هزيمتك، لأنه ببساطة حين يهزمك يهزمك بإرادتك، عندما تتخلى عن قدرتك وجنودك في مواجهته، حينها تفسح له الطريق ليتوغل إلى أعماق قلبك الصغير ليأسره بالهموم والأحزان.

حينها تنهزم يا صديقي!

لكني على الوعد منذ أول حرف كتبته إليك، لن أتركك وحدك حتى نهزم ذاك العدو معًا.

وها نحن نستكمل طريقنا وأنا أهديك بعض المحفزات، هي في الحقيقة قصص لأشخاص قد عانوا مما تعانيه الآن، لكنها ليست كالأفلام التي تتصور في خيالاتك أنك بطلها.. إنما هي حقيقة وواقع.

قصتنا الأولى هي عن مؤلف الروايات والكاتب ويل ويتون.

عانى ويتون كثيرًا من مرض الاكتئاب، لكنه لم يخجل من مرضه ولم يغلق على نفسه هذا الباب الذي تغلقه الآن، إنما حدث الجميع

وهو فخور أنه يحارب عدوه بكل شجاعة، ومن أحد أقواله:

"لست وحدك في العالم من يعاني من القلق والاكتئاب أو أفكار إيذاء النفس، هناك أشخاص مثلك، وهناك أشخاص كرّسوا حياتهم لمساعدة من هم مثلي ومثلك، أنت لست وحدك.. أنت بخير"

أنت بخير يا صديقي.. وستكون دومًا بخير.

إيمانك بأنك لا تستحق سوى الانتصار، لا تستحق سوى أن تكون سعيدًا، هذه كلها دلالات تؤكد أنك بخير، وأن قلبك ما زال ينبض بالصبر، بالأمل الذي لن يخيب في الله أبدًا، كأنه يقول لك سوف تفعلها.. ستنتصر، وأن الله معك دومًا، لن يغيب أبدًا.

ثاني أبطال قصصنا هو باز أولدرين رائد الفضاء الشهير الذي هبط على سطح القمر مع نيل أرمسترونج في ١٩٦٩م، عانى من الاكتئاب مما أدى إلى إدمانه للكحوليات.

تحدث عن تجربته مع المرض قائلًا:

"لم أسع أبدًا للبوح بما أمر به من آلام لأي صديق، فلم أخبر أي أحد أنني أحاول أن أبقى على قيد الحياة قدر المستطاع.. في البداية ساعدني الكحول على تخفيف الآلام، لكن تفاقم الأمر.. لأجد نفسي منعزلًا عن العالم في منزلي"

لكنه كان يعلم أن حياته هي الأهم، وأن هناك مستقبلًا منيرًا ما زال ينتظره..

نجح أولدرين في التغلب على الاكتئاب وإدمان الكحوليات وبعدها تولى منصب مدير الاتحاد الوطني للصحة النفسية والعقلية.

أرأيت؟! ليس الاكتئاب هو نهاية الحياة، إنما هو البداية لحياة جديدة بعد أن تقهره، حياة لا يوجد فيها لحزنك مكان.

هل سمعت عن هاري بوتر؟

ومن منا لم يسمع عنه يومًا، الصبي الساحر الذي ألهم قلوب من قرأوا قصصه أو شاهدوا أفلامه التي حققت نجاحًا فاق مليارات الدولارات، لكن هل تعلم من كتب تلك القصص؟!

الروائية جيه كيه رولينج، التي سحرت روايتها قلوب أطفال العالم وقلوب الكبار أيضًا بابتكارها شخصية هاري بوتر ورفاقه ومدرسة السحرة وصراعهم مع قوى الشر.

حتى الآن كل تلك النجاحات تنبئ عن شخصية عظيمة خالية من جميع الآلام..

أليس كذلك؟!

كل هذا العالم الخيالي المليء بالتفاصيل المبهرة يخبئ خلفه قصة معاناة أليمة مع الاكتئاب، فالكاتبة الروائية عاشت أصعب الظروف في حياتها عندما انفصلت عن زوجها وأعلنت إفلاسها، كانت حينها تعيش على المساعدات الحكومية، أي حياة تلك التي لا تأتي للمرء باكتئاب يدمره إذا عاش مثل ظروفها القاسية!

لكن الحلم الذي كان يأتيها كل ليلة لم يتوقف عن المجيء يومًا حتى حققته، تمكنت رولينج من تحويل ذلك العدو وترويضه ليبقى تحت خدمتها، تمكنت من النجاح.

فقد حولته بشجاعة إلى قوة دافعة مكنتها من التحليق بقلمها في عالم جعل كل طفل يقرأ رواياتها يتمنى لو كان بالفعل إحدى الشخصيات التي يقرأ عنها.. إنها الإرادة يا صديقي.

كل منا له قصته، حكايته التي لا يعلم عنها أحد شيئًا، أحلامه التي تزوره كل ليلة، كل منا له دعوة يدعو بها في كل سجدة لا يعلم عنها إلا ربه، فلمَ التأخير يا صديقي! لمَ لا نبدأ الآن، لمَ لا نعود مرة أخرى إلى روحنا المثمرة قبل أن تجف أغصانها، ويهلك جذرها؟!

إن الله تعالى يقول في كتابه العزيز حين كان يحدث سيدنا محمدًا ﷺ:

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ [الضحى: ٣]

أتظنه قد ينساك يا رفيقي..

إنه نعم الرب، لا ينسى

هو بجانبك الآن وسابقًا وفي كل لحظة، يريدك أن تقف على أقدامك من جديد، أن تطرد كل شيطان يوسوس لك أن تلك النهاية، وأن أحلامك قد أصبحت مجرد فراغ، هو لا يريد لك إلا الهلاك.. والله لا يريد لك إلا الرحمة والمغفرة.

إن الحياة قصيرة.. كفى ما مضى، ما زال الطريق أمامنا والحلم بين أيدينا.

"تبدو الحياة في بعض الأحيان كشيء لا يشبه سوى الكثير من الخسائر، من البداية إلى النهاية، كيف ستكون ردة الفعل لهذه الخسائر!، ما الذي ستفعله بما تبقى! هذا الجزء المتبقي هو عبارة عن تعويض لما ذهب"

كاترين وير

إن المتبقي من حياتك سيجعله الله نسيانًا لكل ما مضى، لكل جرح قد عشته يومًا، أو ظلم تعرضت له، كل دمعة نزلت من عينك الله يعلمها، لن يضيعها أبدًا.

استعن بالله وتوكل عليه حتى يعينك على ما تريده.

أما الآن، فسأقدم إليك بعض النصائح التي أتمنى أن تعينك على تحقيق النصر، النصر الأعظم في حياتك، وأثق أنك ستغلب هذا العدو وتهلكه للأبد.

أولًا: استعن بالله في كل لحظاتك، لحظات السعادة وأيضًا لحظات الشدة، فمن أحبه الله ملك كل شيء، ومن سخط عليه هلك وفني.

دومًا ردد في دعائك " اللهم انصرني على نفسي" تلك النفس الأمارة بالسوء ادعُ الله لها دومًا بالإصلاح حتى تحل محلها نفسك الطيبة وروحك المثمرة.

ثانيًا: اعلم أنه طالما أردت فعل شيء فسوف تفعله، فإرادتك الداخلية لن يقوى عليها أحد أبدًا، البداية فقط تفصلك عن النجاح.. فابدأ من الآن.

ثالثًا: لا تجلس وحيدًا، فالوحدة لم تكن بالرفقة الطيبة أبدًا، افتح بابك واخرج للحياة، تأكد أن جلوسك بين جدران غرفتك سيحمل لك الكثير من أسباب ما تعانيه الآن.

رابعًا: ابحث عن صديق مقرب لك لتحدثه دومًا بما تشعر، الصديق الذي إن هاتفته الثانية صباحًا فلن يكون أول ما يسألك عنه" الساعة الثانية الآن، هل حدثت مصيبة تستدعي مكالمتك! وإنما سيقول: ما بك يا صديق؟!، ارتدِ ملابسك ودعنا نتمشى قليلًا حتى تحدثني عما أهمك. كلنا نبحث عن هذا الصديق طوال حياتنا، فإن وجدته فلا تفرط فيه أبدًا، وإن لم تجده، فنفسك تكفيك، اخرج معها وحدثها كم تبغض ما أنت فيه! كم تريد أن تعود كما كنت في طفولتك لا يعكر صفوك شيء، تحدث ولا تقبض حديثك بداخلك فيكون كالنيران التي تهلكك وأنت لا تدري.

خامسًا: "لو تصفحنا سير الناجحين من حولنا لوجدنا أن كل واحد منهم لديه قصة مليئة بالمعاناة رافقت بدايته وساهمت بصنع النجاح الذي يعيش فيه، إن الأجنحة التي لا ترفرف لا تطير"

حكمة

لا تجعل خوفك من الفشل يؤخر خطواتك ويجعلك مترددًا دائمًا، من لا يفشل لا ينجح، ستتعلم من كل عقبة تواجهها، وكل سقوط سيتبعه نجاح أعظم مما قبله.

وأخيرًا.. لا تبحث عن الاكتئاب! أي لا تجالس المتشائمين الذين لا يرون فائدة لحياتهم، هؤلاء الذين حكموا على أنفسهم بالموت قبل موعد رحيلهم، تأكد أن جلوسك معهم سيؤثر على عزيمتك، ويضعف من قواك.

اجعل كتاب الله سندك في هذه الدنيا وصديقك الذي يرشدك إلى طريق السعادة، الذي يقول لك دومًا: "طالما هناك غد جديد، فهناك أمل جديد"

الآن قد أعددنا جيدًا للمعركة، ولم يبق إلا إشارة البدء، ولا أحد يمتلك زر البدء غيرك أيها المحارب.

فابدأ يا صديقي

الفصل الثانـي
لبسك وحش

"إيه ده؟! ذوقك وحش.."

"على فكرة أنتِ ما بتعرفيش تتكلمي.."

"إنت مقتنع إنك هتوصل لحلمك ده؟ شكله هيفضل حلم"

"إنت رفيع قوي كدا ليه؟ شكل في حد بياكل أكلك!"

.....!!!

التنمر.. قد تحمل تلك الكلمة العديد من المفاهيم لك عندما تقرأها لأول مرة، قد تكون مبهمة!

تظن أنها تحمل طابعًا سيئًا ولكنك لا تعلم ما هو، أنت على الطريق الصحيح يا صديقي.. حيث إنها بالفعل لها أشكال عديدة ولا يوجد لها معنى موحد.

قد يتنمر أحدهم عليك في ملابسك، وقد يتنمر الآخر في شكلك، أو أسلوب حديثك، طريقة سيرك.. إلخ

الآن قد فهمت معنى التنمر يا صديقي، إنها السخرية القاتلة! التي قد تهدم نفوسًا لا تعلم كيف تتعامل مع هؤلاء.

نعلم جميعًا أن التنمر من أخطر الظواهر التي انتشرت في العالم في الآونة الأخيرة ولكننا الآن نتحدث عن عالمك أنت! عن قلبك الذي لم يستطع رؤية أحد يقلل من شأنه.. بينما يظل ساكنًا لا حيلة له.

إن فطرة الله التي فطر قلبك عليها جعلته يرفض كل ما يؤذيه، ففطرته هي السعادة.. وليس الحزن!

قال الله ﷻ ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾ [التين: ٤]

أجمل صورة قد تكون عليها في حياتك هي ما أنت عليه الآن، هذا كلام الخالق، فهل نهتم بالمخلوق؟!

المخلوق الضعيف الذي لم يجد جدارًا يتخفى خلفه كي لا يرى أحد عيوبه.. فجعل همته في الحياة التقليل من شأن الآخرين، أملًا في أن يقنع نفسه أنه ليس الأسوأ.

عند دراسة التنمر تجد أن نصف سكان العالم تقريبًا يعانون من تلك الظاهرة، وهذا يدل على أننا نمتلك نصفًا آخر مصابًا بعدم الثقة في النفس!

فالشخص الذي يقوم بالتنمر فقد الثقة في كل شيء حوله، بعد أن فقد الثقة في نفسه.

في البداية حين درس العلماء تلك الظاهرة، وجدوا أن أعلى نسبة للتنمر تكون في المدارس بين الطلاب. حيث إن ٧٠٪ من الأطفال في مصر يتعرضون للتنمر من زملائهم في المدارس.

ما هذا؟! بدلًا من أن يتعرف الطالب على نفسه ويعزز ثقته فيها يقوم آخر بهدمها بكل سهولة! ينهي حياته الإنسانية قبل أن تبدأ، إنهم وحوش وليسوا بأشخاص!

وتأتي الآن المشكلة الكبرى وهي الاعتراف بالتنمر.

من منا يستطيع أن يقر أمام الناس أنه تأذى من كلمة قالها له صديقه عن طريق المزاح! هو يظن أنه يمزح حين يسخر من وزن صديقه الزائد أمام باقي أصدقائه، أو هي تظن أنها تعطي الجلسة بعضًا من الفكاهة حين تنتقد صديقتها علانية أمام الآخرين، هم يعتقدون أننا لا نشعر، أو أننا مثلهم لا قلب لنا!

فمن الطلاب الذين يبلغ نسبتهم ٧٠ في المائة ظهر أن ٢٣,٣ في المائة فقط من الطلاب أفصحوا عن مشاكل التنمّر التي يتعرّضون لها، أما الباقي فقد غلبه شعور الخجل، أو عدم الثقة فيمن سيتحدثون إليه. كيف تطلب من شخص فقد الثقة في نفسه أن يثق بك ويحدثك عما تعرض له من تنمر؟!

ما يدريه لعلك أنت الآخر تتنمر عليه، قد يتملكه الخوف من أن تكون مثلهم! هؤلاء الذين فقدوا أنفسهم للأبد.

وأما عن تعاملنا مع من اعترف بحدوث تنمر له فتشير الأبحاث إلى أن نسبة ٦٣,٩ في المائة من الأشخاص يحاولون مساعدة من يتعرّض للتنمّر، بينما لم تقم نسبة ١٣,٣ في المائة بشيء، وشعرت نسبة ١١,٥ في المائة بأنها غير معنيّة بالأمر، هؤلاء قالوا لأنفسهم:

"طالما الأمر لن يضرنا، فما فائدة أن نفعل شيئًا ؟!"

هؤلاء من اختاروا ألا يساعدونا، لم يقفوا بجانبنا في أشد الاحتياج إليهم.

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجَى اثنان دون صاحبهما"

أرأيت يا صديقي، أرأيت كيف يهتم الله ورسوله بأبسط أمور قلبك! يعلمون أنه قد يحزنك أن يتحدث صديقان أمامك دون أن يشركاك في حديثهما، فتشعر بالوحدة والحزن، يعلمون أن قلبك النقي يتأثر بأبسط الأشياء التي تجعل الحزن يستوطنه.

"الناس الذين يحبون أنفسهم، لا يؤذون الآخرين، كلما كرهنا أنفسنا أردنا أن يعاني الآخرون"

دان بيرس

معاناة الآخرين ليست بالشيء الذي يأتي بالسعادة لقلوب من يجعلهم يعانون، إنما هو نقص كبير في شخصيتهم، يخافون اكتشاف ما بداخلهم من ضعف وآلام فيجعلوننا نشرب من نفس الكأس، ولكنك أخي قد كرهت نفسك قبل أن تكرهني، فما الفائدة إذًا؟!

ولكي نتعرف أكثر على التنمر، دعني أوضح لك أنواعه:

أولًا: هناك تنمر لفظي.. وهو أكثرها انتشارًا، قد تكون يومًا جالسًا في أحد الأماكن ودون سابق إنذار تجد أحدهم يلقي بحجر على قلبك!

كلمة بسيطة ولكنها تعني الكثير بداخلك، تحمل أصعب اللحظات أو الذكريات التي قد مرت عليك في حياتك، تجد نفسك فجأة لا تدري من أين أتى شعور الحزن، أهو من كلمته أم من الآلام التي بداخلك ولا يدري عنها أحد؟

أما النوع الثاني فهو التنمر الجسدي، ويتمثل في إيذاء الشخص، عن طريق ضربه وإهانته.. وإيذائه بدنيًّا.

تجد أحدهم يستغل قوته التي منحه الله إياها في ضرب زميله الدراسي أو الجامعي أو أيًّا يكون، في النهاية هو يريد أن يرى الناس مدى قوته أو بالأصح مدى الفراغ الذي يعانيه بداخله! النقص الذي جعله يفكر هكذا لا بد أن يكون كبيرًا.. كبيرًا للغاية.

وهناك تنمر العلاقات الشخصية والعاطفية، والذي يحاول فيه الشخص منع جميع الناس عنك، كأنه يريد سجنك في وحدة خالية ليس معك إلا نفسك، فهذا ينشر عنك الأكاذيب، وهذا يقسم أنك فعلت كذا وكذا وأنت لم تفعل شيئًا.

في الحقيقة أنت فعلت شيئًا واحدًا فقط، وهو إيمانك يومًا بهم!

إيمانك أنهم ليسوا كالآخرين، وأنهم ملائكة قد خلقها الله لتنير حياتك، تمنيت أن يكونوا صادقين فيما أخبروك به أنهم لن يتركوك وحيدًا، ولن تشعر بحزن طالما أنهم معك، لكنهم أصبحوا في النهاية سببًا لجميع أحزانك!

"ماذا لو أن الطفل الذي تنمرت عليه في المدرسة نشأ وتبين أنه الجراح الوحيد الذي يمكنه أن ينقذ حياتك؟"

لينت ماذر

ماذا لو كنا سبيل النجاة الوحيد لهؤلاء يومًا؟! هؤلاء الذين أقسموا على البقاء.. ولم يبق منهم أحد، كل ما تبقى هي ذكريات تؤلمنا في منتصف الليل وتجعلنا نبكي بلا سبب.

نحن لا نبكي عليهم أبدًا، إنما نبكي على أنفسنا، وما جعلونا نشعر به!

ولكن دعنا ننظر لما أراده الله لنا، فقد أراد لهم الرحيل حتى لا نتأذى أكثر من ذلك، وأراد أن يعوضنا، ويرزقنا الأفضل منهم، من يبقى معنا حتى النهاية.. قولًا وعملًا.

وأما عن آخر أنواع التنمر فهو التنمر الإلكتروني، ولا يحتاج لشرح كثير حيث كم الرسائل التي تأتي بأفظع الشتائم لك دون سبب كافية لشرح ما تشعر به حينها.

إن حياتنا تتغير كل يوم، تشرق لأحدنا، وتبهت للآخر.. تعطي الأحلام، وتهدم اللذات، ولكن ماذا عن أنفسنا؟!

هل مع كل شروق شمس سيظهر نفس الشخص الباهت قلبه من أذى الآخرين!، أم هناك نهار أخفى كل ليل عشناه، وكل ألم قضيناه؟

هل أتى هذا النهار، أم لم يأت بعد؟!

وحدك تعلم الإجابة يا صديقي

بعض الأشخاص يعتقدون أنهم يجب أن يظهروا أنفسهم على من حولهم حتى يحظوا بالانتباه الذي يجعلهم يكتسبون المزيد من الأصدقاء، هذا في اعتقادهم!

قد ترى مثلًا أحد الطلاب في الجامعة يحاول جذب أنظار الفتيات إليه عن طريق السخرية من أحد الأشخاص، يعتقد حينها أنهم سيرون فكاهته أو كما نسميها "خفة دمه" ولكنهم في الحقيقة لا يرون إلا شخصًا يفقد الكثير من المروءة والرجولة، شخصًا يكره نفسه.. فكيف لا يكره الآخرين!

"لا تفعل أبدًا شيئًا خاطئًا لتكوين صديق، أو الاحتفاظ بأحد الأصدقاء" روبرت لي

إننا جميعا مختلفون، لا نشبه بعضنا، قد نتفق في بعض الصفات، ولكننا نختلف في الكثير، الكثير الذي قد يجعلنا نكره بعضنا، ونسعى لتدمير حياتنا بأنفسنا!

يقول يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: "لِيَكُن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضرَّه، وإن لم تُفرِحه فلا تغمَّه، وإن لم تَمدحه فلا تذمَّه"

جامع العلوم والحكم

نحن نستطيع خلق المحبة بيننا، إذا لم نستطع أن نساعد بعضنا فلمَ الضرر؟! إذا لم تستطيعي أن تساعدي صديقتك في تقليل وزنها فلمَ السخرية؟

أو أنت، إذا لم تستطع مساعدة صديقك، لمَ لا تتركه ساكنًا ولا تلحق الضرر بقلبه؟!

قد نعتقد أننا وحدنا من مررنا بتجارب التنمر، ولكن خلف حديثنا مئات القصص لأشخاص قد عاشوا نفس تجربتنا المؤلمة، دعنا نتحدث عنهم قليلًا لعل ذلك يخفف بعض آلامنا.

بدايتنا تلك المرة مع المغني الأمريكي إمنيم الذي تعرض في صغره لكثير من المضايقات باعتباره الطالب الجديد دائمًا نتيجة انتقاله من مدرسة لأخرى طوال فترة دراسته.

قال إمنيم لموقع سي إن إن الأمريكي في عام ٢٠١٠:

"كنت أتعرض للضرب في حمامات وممرات المدارس التي التحقت بها، لدرجة أن والدتي قاضت مدرسة منطقة ميتشجان لفشلها في حمايتي، نتيجة تعرضي لإصابة خطيرة في الرأس"

إذا كان الناس يحاولون إسقاطك، فهذا يعني أنك تتفوق عليهم..

قد تجد الكثير من حولك مثل أصدقاء إمنيم، أو أعدائه إذا صح التعبير، لا يريدون إلا هدمك، يعلمون أنهم لن يصلوا إلى ما أنت فيه أبدًا، هم بالفعل يستطيعون ذلك..

ولكن كرههم وحقدهم الكامن داخل قلوبهم منعهم من التفكير للحظة واحدة.. لماذا لا نحاول أن نصبح مثله؟!

قد يتنمر عليك أحدهم ليس لكونك فاشلًا أو لا تستطيع النجاح، بل يتنمر عليك لأنك بالفعل ناجح، يريك أن نجاحك هذا لا يساوي شيئًا بالنسبة له، لكنه في الحقيقة لا يستطيع الوصول إليه، يعتقد أنه سيخفض من عزيمتك حتى لا تستمر في طريقك، يعتقد أنه سيوقفك، لا يعلم أنه مع كل سقطة نعود أقوى وأقوى، نقهر صعابنا من جديد.

هل تتخيل أن يكتب الأشخاص كلمات في كراهيتك ويجتمعون أمامك لتراها!!

هذا ما حدث مع ديمي لوفاتو إحدى المشاهير حول العالم، تقول لوفاتوعن هذه المرحلة من حياتها:

"كان زملائي يكتبون عرائض لإبداء كراهيتهم لي، وكانوا يجمعون التوقيعات عليها! وكانوا يقومون بحفلات لتكسير أسطواناتي وتسجيلاتي.. بل كانوا يأتون ويقفون قبالة منزلي ويصرخون ضدي، كل ما أردته حينها هو أن أرحل"

أرأيت! هم لا يريدون لك سوى الهزيمة، لا يريدون سوى أن ترحل، ترحل بأحلام تمنيتها منذ صغرك، وآمال تشتاق إليها كل يوم، يريدون لك اليأس، لا يعلمون أنك قهرت الصعاب منذ زمن بعيد، وما زلت تقهرها يومًا تلو الآخر.

من الصعب التصديق أن واحدًا من أوسم رجال العالم يمكن أن يكون قد تعرّض للتنمر في صغره أليس كذلك؟! حيث إنه يضرب به المثل في الجمال بين الرجال، ما أقصده بالطبع هو الممثل العالمي "توم كروز".

كانت عائلة الممثل الشهير دائمة التنقل بين الولايات المتحدة بسبب طبيعة عمل والديه، مما جعله يتنقل بالتالي بين عدة مدارس ويبقى دون أصدقاء مقربين.

كما أن بنيته الجسدية كانت صغيرة الحجم بالنسبة لمن هم في سنه **"مما جعل إيذائي وضربي سهلًا، وكنت أخاف كلما انتقلت إلى مدرسة جديدة حتى إنني كنت أشعر بالغثيان من شدة الرعب"**

هذا ما قاله في إحدى المقابلات.

"قد أنسى ما قالوه لي يومًا، لكني لن أنسى ما جعلوني أشعر به!"

نجيب محفوظ

قد تمر الأيام وتلهينا في عقباتها وحكاياتها، تجعلنا ننسى تلك الكلمات التي فتحت لقلبنا بابًا من الحزن، لكننا هل نستطيع نسيان الألم الذي لحق بنا عن طريق كلماتهم، الألم الذي ما زال ينبض بداخلنا؟

هذا أملنا يا صديقي.. أن يجبر الله قلوبنا.. وينهي أحزانها إلى الأبد..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾ [الحجرات: ١١]

إن الله ﷻ نهى عن كل أذى قد يصيب قلبك، فيسأل المتنمر هل تأكدت أنك أفضل منه عندي حتى تفعل هذا به؟!

هل تعتقد أن الله سيرضى عن فعلك هذا وأنت تهدم قلب عبده؟

مر الفاروق عمر بن الخطاب يومًا على قوم يشعلون النار لتذهب عنهم برودة الجو فقال لهم" يا أهل الضوء" ولم يقل يا أهل النار!

كلمة بسيطة قد تغير الكثير.. قد تجعل حب الشخص يأسر قلبك.. وقد تجعله يبغضه للأبد..

أحد الأشخاص يمتلك محلًّا تجاريًّا قام بتغيير لافتة

" مغلق للصلاة" إلى "سبقناك إلى الصلاة فالحق بنا"

تخيل مدى تأثير هذه الكلمة على نفس كل من يقرأها، قد تضيء قلبًا كان بعيدًا عن ربه فيجري لملاقاته، وقد تفرج هم مهموم لم

يجد لهمه حلًّا عند أهل الأرض فرفع قضيته إلى خالق السماوات والأرض.

كلنا نستمع إلى سورة الكوثر، والتي بدأها الخالق ﷻ بقوله:

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣ ﴾ [الكوثر: ١-٣]

هل تعلم ما قصة تلك السورة؟ تلك السورة نزلت جبرًا لخاطر أفضل الخلق حين أصابه التنمر من أحد الكفار الذين لم يدخل الإيمان قلوبهم يومًا.

نزلت تلك الآيات في العاص بن وائل السهمي:

وذلك أنه رأى النبي - ﷺ- يخرج من باب المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تتحدث معه؟ قال: ذلك الأبتر، يعني النبي - ﷺ- وكان قد توفي ابن لرسول الله - ﷺ– من السيدة خديجة رضي الله عنها.

وذكر محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله - ﷺ- قال: دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له فإذا هلك انقطع ذكره، فأنزل الله تعالى هذه السورة.

ويفسر العلماء تلك السورة على أن الله تعالى يقول لنبيه:

إني أعطيتك نهرًا كاملًا في الجنة لك وحدك، فلا تحزن من هؤلاء، صلِّ واخضع لبارئك وتقرب إليه بالصدقات، فإن الذي أساء إليك هو مقطوع النسل في الدنيا.. ومقطوع النجاة في الآخرة.

الله خفف عن قلب حبيبه، أتظنه لن يخفف عنك!

"الأسوأ من عدم مساعدة أحدهم لك هو المساهمة في إيذائك!"

وهنا نتحدث عن قصة الممثلة وينونا رايدر التي تعرضت للكثير من التنمر في مدرستها بسبب مظهرها الذي يبدو أنه استفز أقرانها!

إذ وصفت رايدر ثيابها التي كانت ترتديها بـ "القديمة والرخيصة" ولكنها كانت تحب ارتداءها، لكنها لم تستطع أن تتخيل أن مظهرها هذا سيؤدي إلى تلقيها الضرب والإهانة على يد أقرانها، تدفع هي ثمنها بدلًا من المعتدين عليها!

وعن تجربتها تقول:

" كنت أرتدي سترة خاصة بالأولاد قديمة رخيصة الثمن، وبمجرد ذهابي إلى الحمام سمعتُ أشخاصًا يقولون: لنضربها، ثم ضربوا رأسي بالخزانة، سقطتُ على الأرض، وبدأوا في ركلي، واضطر الأطباء لتطبيب جروحي بعدة غرز، وفي النهاية قامت المدرسة بطردي.. لا للمتنمرين!".

ليس هناك أسوأ من أن يجتمع عليك الجميع، لا يريدون سوى نهايتك!

وما زال التنمر في حياتنا إلى اليوم..

تلك كانت بعض القصص، أحببت أن أطلعك عليها ليطمئن قلبك، ويدرك أنه ليس وحيدًا، فقبل أن يجد شخصًا يساعده، دعه لا ينسى أن الله معه، بجانبه كل لحظة، وكل حين.

وكما نعلم فإن الداء لا يُشفى منه إلا إذا التزمنا بالدواء، قد تجده مرًّا أو تكرهه، ولكن اعلم أنه لن يشفيك غيره، ولن يجبر قلبك سواه.

أولًا: اجعل إيمانك الداخلي أنك لست سيئًا، نعم يوجد فيك الكثير تريد إصلاحه، ولكنك كأي عبد، تذنب وتتوب، فليس من حق أحد أن يحاسبك على ما تفعل أو يسخر منك، هو كان مثلك لا يزيد عنك شيئًا، أما بعد سخريته منك فتأكد أنه أصبح أقل منك بكثير.

إن الكلام شيء سهل، فكلنا فلاسفة، قد تجد أكثر الرجال يستطيعون الفتوى في معظم المواضيع حتى وإن لم يكن لديه خبرة مسبقة أو يعلم عنها شيئًا، يريدون فقط إشباع غريزة الظهور أمام الناس كالعلماء الذين لا يجهلون شيئًا، ولكنهم في الحقيقة يجهلون كل شيء.

ثانيًا: لا تجلس مع هؤلاء الذين لا يرون إلا عيوب الناس، فقد أعموا أبصارهم عن عيوبهم، ولم يجدوا غيرك ليحاولوا طمس عيوبهم بإظهار عيوبك أنت.

"اعتزل ما يؤذيك، وعليك بالخليل الصالح، وقلما تجده، وشاور في أمرك الذين يخافون الله ﷻ"

"عمر بن الخطاب"

إن زمن الصحابة الكرام قد يكون بعيدًا عن زمننا الآن ولكنه بعيد زمانيًّا فقط، أما روحيًّا ونفسيًّا فهو ما زال لم يتغير ولن يتغير أبدًا.

فالقلوب التي اتبعت كتاب الله وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام، شعرت بالسكينة والاطمئنان باتباعها تلك الكلمات، والتي بلغونا إياها كي تكون منهجًا يعود العبد إليه إن أصابه سوء، يعلمون أن الظلم لا يرضاه الله، وهم يحبونه، فكيف يغضبونه؟!

قال الفاروق: اعتزل ما يؤذيك، لم يقل تحمله أو انتظر لعل الله يصلحه يومًا ما، قد يصلحه الله حقًّا ولكن سيكون الوقت بالنسبة لك قد فات، وأذاه قد أصاب قلبك.

ثالثًا: عليك بالرفيق الطيب، قلما تجده في تلك الحياة، ولكن لا تتوقف في البحث عنه، قد يرزقك الله به يومًا ليجعل من أنهار حزنك زهورًا وسعادة تغير لك كل شيء.

رابعًا: لا تخف من الوحدة، بعضنا يسأل نفسه، ماذا أفعل لو اعتزلتهم؟ هم أصدقائي ولا أملك غيرهم، هل سأعيش بمفردي؟!

في البداية دعنا نصحح كلمة أصدقائي، فالصديق لا يؤذي قلب صديقه وهو يعلم كم الألم الذي سيصيبه، الصديق لا يظهر عيوب صديقه حتى إلى نفسه ليظل يكن له نفس مقدار الحب الساكن في قلبه، هؤلاء ليسوا أصدقاءك.. ولن يكونوا يومًا.

أما عن الوحدة، فاجعل الله أنيسك، وما أجمل الأنس مع الله، تجده يمنحك راحة نفسية لا تعلم من حيث أتت ولكنك على علم أنك تحتاجها، ادعُ الله دومًا أن يكون أنيسك في وحدتك.

خامسًا: ابدأ في تغيير ما تراه يحتاج للإصلاح في نفسك، ولكن ليس بسبب هؤلاء وكلامهم الذي لا يمثل أهمية ولا حقيقة بالنسبة لك، بل تغير من أجل نفسك.. من أجلك أنت.

التنمر ليس ممتعًا أبدًا، إنه أمر قاسٍ ومرعب للشخص، إذا تعرضت للتنمر فهذا ليس خطأك، لا أحد يستحق التعرض له.. ولكنك الآن علمت كيف تتعامل معه، كيف تنتصر عليه وتهلكه إلى الأبد.

والآن حان موعد التنفيذ يا رفيق الدرب، هذا موعد أخذ جرعة الدواء التي لن تستطعمها في البداية، ولكن تأكد أنها ستكون شفاك في النهاية.

مع كل يوم تشرق فيه الشمس، تبدأ حياة جديدة، يربطها بما قبلها شيء واحد فقط، وهو أنك ما زالت تحاول، وسوف تصل يومًا ما.

تذكر دومًا...

أنت جميل، وستصبح أجمل

الفصل الثالث
مش قادر أنسى!

أحيانًا تتمثل أمنية أحدنا في الحصول على وظيفة يتمناها، والآخر في الزواج بفتاةٍ معينة، وآخر في الوصول إلى مكانة ما، تختلف الأمنيات دومًا، ولكن ستبقى أمنية واحدة مشتركة بين الجميع، تزورك بين كل حين وحين لتخبرك أن الجرح لم يشفَ، والقلب لم يضمد، فتتمنى سريعًا أن يرزقك الله النسيان.

تريد نسيان كل لحظة حزن مرت عليك، كل ألم انفطر به قلبك ذات يوم، كل إنسان آمنت أنه ليس كالآخرين، ولكنه كان أسوأ!

كل ذلك أشياء نريد نسيانها، نريد لقاء هذا الشبح الذي يسمى النسيان لنقص عليه ما فعلوه بنا، كيف ظلموا قلوبنا الضعيفة معهم، قلوبنا التي لم يكن لها أي ذنب سوى أنها أحبتهم، وآمنت بهم.

هؤلاء الذين كنا نعتقد أننا بهم سنمتلك سعادة الدنيا ونسأل معهم الله السعادة في الآخرة، لا نعلم هل كنا أطفالًا، أم قلوبنا ساذجة حتى تتعلق بهم!

كل ما نعلمه أننا أحببناهم بصدق، لكنهم لم يشعروا بقيمة ذلك الحب يومًا، ظنوا أن تلك النبضات لا ينبغي أن تكون ملكًا لأحد سواهم.

أحيانًا تسأل نفسك، ما فائدة النسيان؟! هل سيعود بقلبي المنفطر؟ أم سيجعلهم غرباء كما كانوا! هم بالفعل أصبحوا أغرابًا، فقلوبنا لا تعرف مثل هؤلاء، لا تجد قلبًا يحب من يظلمه ويقسو

عليه، فما بالك بقلبك؟ قلبك الذي عانى الكثير خلال طريقه، هو لم يحزن فقط، بل جرح جرحًا عميقًا ما زال ينزف كل ليلة وأنت وحيد في غرفتك تبكي وتسأل الله الرحمة والنسيان.

رحلتنا تلك المرة سنعبر بها على عدة محطات، لعلك تجد في إحداها القطار الذي تنتظره منذ زمن طويل، قطارك الذي يحمل كل ما أحزنك في حياتك، والذي تود نسيانه للأبد.

أول محطة سنتوقف عندها هي محطة نسيان الأشياء، وأقصد هنا نسيان الأحلام التي لم تستطع بلوغها، والتي ترى الطريق إليها بات مغلقًا للأبد.

كل شخص منا لديه حلم يعيش به يومه، كلما مرت عليه أزمة أو ضاقت به الحياة، أغمض عينه وسبح في عالم هذا الحلم، هو يعيش الآن في خياله، لكنه يتمنى في كل لحظة أن يكون هو واقعه.

"إياك أن تظن أن الصمت نسيان، فالأرض صامتة ولكن في جوفها ألف بركان"

"حكمة"

صمتك الذي تتخيل أنه الملجأ الوحيد لك لن يفيدك للأبد، حتى إن شعرت ببعض الراحة اليوم، تأكد أن الغد ينتظرك بما هو أقوى، تلك هي الحياة يا صديقي، لا نستطيع أن نواجهها بمفردنا أبدًا.

أعلم أنك ما زلت تتمنى ذلك الحلم، لكنك أصبحت لا ترى الطريق إليه، فيئست من تحقيقه، وأردت نسيانه.

إن الله حين خلق في أنفسنا الشغف للنجاح لم يقصد به عذابنا، فالله لم يخلقك لشيء لا تستطيع الوصول إليه، ولكن قد تكون الطرق مغلقة الآن، قد تكون بحاجة إلى إصلاح بعض الأشياء في نفسك، التي ستجعلك تكمل المسير إلى حلمك، ولكن..

إن كان هذا الحلم ما يريده الله لك.

أما إن كان الله يرى أن الخير سيكون في حلم آخر، فتأكد أنك إن ظللت تطرق تلك الأبواب فستجدها دومًا مغلقة، ليس لأن الله يريد حزنك، ولكنه أراد لك أن تتعلم الحياة، ولم تكن لتتعلمها إلا بمرورك على ذاك الحلم، حتى تتعلم منه ما ينبغي عليك أن تفعل، وما لا ينبغي، لكي تصبح جاهزًا لحلمك الخاص الذي سيكون فيه سعادتك للأبد، حتى إن ظننت أن الفرح لن يأتي، سيأتيك رغمًا عنك.

قد تسأل نفسك لماذا أتاك ذلك الحلم، لماذا قدر الله أن يعلق قلبك به!

أولم يكن هناك طريق آخر لتصل إلى حلمك دون عناء، دون حزن وشقاء..

اقرأ معي واستشعر بقلبك

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾

[فصلت: ٤٦]

دعنا نتوقف قليلًا عند جملة: **"وما ربك بظلام للعبيد"**

أتظن القدر أخطأك عندما أتاك بأيام تحمل في طياتها الحزن، أم عندما تعلق قلبك بحلم لم يكن لك؟

إن الله لم يظلمك يومًا حين أراد لك التعلم، قد ترى قسوة تلك الأيام، ولكنك ستحمد الله عليها ليل نهار عندما تمضي.

عن الإمام أحمد وأبي داود قال:

أتيت أُبيّ بن كعب فقلت له وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه من قلبي؟ فقال: لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار. قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، قال ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺمثل ذلك"

صححه الألباني

ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، تأكد أن ما أنت فيه هو قدرك الذي لم يتغير، هو درس الله لك حتى تتعلم فن تلك الحياة.

إذا لم تجد ضالتك في تلك المحطة فهيا بنا إلى المحطة التالية، تلك المحطة هي أصعب محطات النسيان؛ إذ إنها لا تتعلق بالأحلام والخيال فقط، وإنما تتعلق بالواقع، تتعلق مباشرة بقلبك.

تلك المحطة يسمونها "نسيان الأشخاص"

كل شخص لديه قصة حزن بداخله، شخص عانى من أشخاص أحبهم أو ما زال يعاني، وشخص آخر تعب من التضحية، وشخص يبكي كل يوم على أشخاص رحلوا من الدنيا.

كل هؤلاء يريدون شيئًا واحدًا فقط، يريدون النسيان!

كي أكون صادقًا معك كما عهدتني منذ بداية رحلتنا، لا توجد وصفة صادقة للنسيان، ولا زمن محدد، فأحدهم قد ينسى في شهر، والآخر في سنة، وأحدهم قد تطول مدته إلى أن يريد له الله مقابلة ذاك الضيف الغائب منذ زمن بعيد.

في محطة نسيان الأشخاص يوجد نوعان من الأشخاص نريد نسيانهم:

النوع الأول هم أشخاص فارقونا ولكن ذكراهم ما زالت عالقة في نفوسنا، رحلوا إلى ربهم لكنهم لم يرحلوا من قلوبنا أبدًا.

نتذكر كل ليلة حديثنا معهم، وتبكي أعيننا من الشوق إليهم، فالحياة تغيرت كثيرًا منذ رحيلهم، لا ندري ماذا حدث؟ لكننا استيقظنا يومًا فوجدنا أنفسنا بمفردنا..

القلب الذي كان يخفف عنا آلام تلك الحياة، الحضن الدافئ الذي كان يحوينا بهمومنا داخله، كل ذلك ذهب ولم يعد.

هون على نفسك يا صديقي، فمن خلق الداء خلق الدواء، قد تشعر بالوحدة الشديدة بعد مفارقتك لأقرب القلوب إليك، ولكن هذا ليس مرضًا، هذا يدل على أنك ما زلت تشعر!

يوم فتح مكة والناس ملتفون حول الرسول وقريش كلها تأتي إليه ليسامحها ويعفو عنها فإذا به يرى سيدة عجوزًا قادمة من بعيد فيترك الجميع ويقف معها يكلمها ثم يخلع عباءته ويضعها على الأرض ويجلس مع العجوز عليها. وعندما انتهى رسول الله من الحديث مع تلك السيدة جاءته السيدة عائشة تسأل من هذه التي أعطاها النبي-ﷺ- وقته وحديثه واهتمامه كله؟

فيقول: هذه صاحبة خديجة.

فتسأل: وفيم كنتم تتحدثون يا رسول الله؟

فقال: كنا نتحدث عن أيام خديجة.

فغارت أمنا عائشة وقالت: أما زلت تذكر هذه العجوز وقد واراها التراب وأبدلك الله خيرًا منها؟

فقال النبي -ﷺ-: والله ما أبدلني من هي خير منها، قد واستني حين طردني الناس وصدقتني حين كذبني الناس.

فشعرت السيدة عائشة أن النبي قد غضب، فقالت له: استغفر لي يا رسول الله.

فقال: استغفري لخديجة حتى أستغفر لك.

"رواه البخاري"

ما هذا الحب والوفاء؟! الكثير منا عندما يقرأ تلك القصة لا يتمنى إلا شيئًا واحدًا وهو زوجة مثل السيدة خديجة، أو زوجًا يمتلك وفاء رسول الله وحبه لزوجته الراحلة.

روت أمّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-:

(ما غِرتُ على نساءِ النبيِّ -ﷺ- إلّا على خديجةَ، وإنّي لم أُدركها، قالت: وكان رسولُ اللهِ -ﷺ- إذا ذبح الشّاةَ فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاءِ خديجةَ، قالت: فأغضبتُه يوماً فقلتُ: خديجةُ؟ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: إنّي قد رُزِقْتُ حُبَّها).

لم يكن يمتلك أمره، فقلبه كان متعلقًا بها للأبد.

ولذلك دعا ﷺ ذات يوم قائلًا:

"اللهم لا تحاسبني فيما لا أملك، وحاسبني فيما أملك"

الموت لا يعني نهاية الأشخاص في حياتنا، فبعضهم يبقى محفورًا بداخلنا مهما توالت الأيام ومر بنا الزمن.

عندما غسل الخليفة علي بن أبي طالب زوجته السيدة فاطمة الزهراء وكفنها جلس وحيدًا وهمس في أذنها:

"يا فاطمة، أنا علي "

الحب لا يموت أبدًا..

لا أقول لك أن تنسى؛ لأن ذكراهم ستكون محفوظة بداخلك للأبد، ولكن اجعل لهم خيرًا في حياتك، ادعُ لهم بالرحمة، تصدق عليهم، افعل ما كانوا يحبونك أن تفعله، تأكد أنك على وصال دائم معهم، وصال لا ينقطع أبدًا.

تأكد أنهم في مكان أفضل بكثير الآن، وأنهم يشعرون بك دومًا، والأهم أن الذي خلقهم وخلقك حي لا يموت، يسمع بكاءك في كل ليلة ترجوه أن يرزقك النسيان، وسيرزقك به عما قريب.

"لولا النسيان لمات الإنسان لكثرة ما يعرف، لمات من تخمة الهموم والعذاب والأفكار التي تجول في رأسه"

عبد الرحمن منيف

أما النوع الثاني وهو الأصعب، والذي قد يمر عليه كل شخص في حياته، ومحظوظ هو من لم ينفطر قلبه يومًا لفراق الأحياء..

قد لا تجد يومًا سبيلًا لك سوى نسيان أشخاص كانوا في حياتك من قبل، أو أشخاص كانوا يمثلون لك الحياة، بسعادتها وحزنها.

قد نقول إن قلبك كان يحيا لأجلهم، لكنهم رحلوا دون رجعة.

هؤلاء الذين أحببناهم بصدق، لكن قلوبهم لم تكن تعرف للصدق معنى.

هؤلاء الذين ضحيت بحياتك من أجل إسعادهم، ولم يكن لك في النهاية غير الحزن.. حجرتك المغلقة.. وحدتك.. نفسك التي تسألها كل يوم سؤالًا لم يتغير منذ رحيلهم.

ماذا فعلت حقًّا كي تكون تلك النهاية؟! لقد أحببتهم بصدق، هل هذا هو الخطأ الذي فعلته! لم أستطع أن أكون مخادعًا مثلهم، أو أن ينطق لساني بما ليس في قلبي.

لم أستطع أن أتركهم في حزنهم دون صديق يشاركهم، أو حبيب يخفف عنهم، هل هذا هو الخطأ الذي فعلته! ليتني لم ألتقِ بهم يومًا، ليت عيني لم ترهم، ليت قلبي الضعيف لم يتعلق بهم، ليته لم يحبهم..

"كل شخص لديه قصة حزن بداخله، شخص عانى من أشخاص أحبهم أو ما زال يعاني، وشخص تعب من التضحية، وشخص آخر يبكي كل يوم على أشخاص رحلوا من الدنيا"

إن كان التعلق بالأشخاص مرضًا، فكلنا في الحقيقة مرضى، من منا لم يتعلق بشخص طوال حياته! من منا لم يجد السكينة والمأوى في قلب أحدهم، قد تكون وجدته في والدك، أو والدتك، قد يكون عند أحد أصدقائك، أو قد تشعر به في روح أحببتها ولكن لم يكن في قلبها مكان لك.

إن أصعب أنواع النسيان هو نسيان أشخاص تعايشنا معهم لزمن، وجمعتنا معهم ذكريات كثيرة، كانوا هم الحياة التي حلمنا بها كل ليلة، لكننا لم نحلم أبدًا بما نحن فيه الآن.

"ما النسيان سوى قلب صفحة من كتاب العمر، قد يبدو الأمر سهلًا، لكن ما دمت لا تستطيع اقتلاعها ستظل تعثر عليها بين كل فصل من فصول حياتك"

أحلام مستغانمي

أنت لا تريد سوى النسيان، نسيان كل لحظة جمعت بينكما في تلك الحياة، أعلم أنها ليست مجرد لحظات، قد تكون شهورًا وسنوات، لكنه في النهاية جزء من عمرك أفنيته مع أشخاص لن يستكملوا رحلتك بعد الآن.

أعلم أن ما أحدثك عنه ليس بالشيء السهل، ولكني أعلم أيضًا أنك تحتاجه، تحتاج أن تستمر حياتك كما تريد أنت، ليس كما يريدون، هم أرادوا ما أنت فيه الآن، أرادوا الحزن لك ولقلبك، فهل ستعلن استسلامك لهم! أم هناك محاولة أخيرة، لإخراجهم من عقلك وقلبك إلى الأبد.

والآن.. سوف أهديك بعض المحفزات، لعلها تساعدك في رحلتك الطويلة حتى تصل إلى ما تتمناه.

دعنا نتفق في البداية على أنه لا توجد وصفة محددة للنسيان، فلا تعتقد أنك ستستيقظ من نومك يومًا ولن تجدهم في حياتك،

أو يستوطنون قلبك، إنما هي خطوات يا صديقي، ستنجح في بعضها من المرة الأولى، وستتعثر في البعض في البداية، ولكني على ثقة تامة بأنك ستنهض من جديد، وستنجح في النهاية.

المحفز الأول هو أنت، نفسك التي تعيش من أجلها، هل تستحق منك ذلك؟! كل هذا الحزن واليأس المتملك من قلبك هل تظن أنها لا تتأذى منه؟ الدموع التي تسقط من عينيك وأنت في لحظات اليأس، هل لا تتأثر هي بذلك؟ إنك مسئول أمام الله عن نفسك التي وهبها لك، هل تجد أبًا يحب الحزن لأطفاله، فما بالك بمن زرع حب الأبناء في قلوب آبائهم.

عقلك المنشغل بذكرياتك معهم، وما فعلوه بك، يحاول في كل لحظة أن يعرض عليك شريطًا من الذكريات الأليمة، هل لم يأت الوقت لتنتصر عليه، لتجعله بدلًا من أن يفكر في الماضي بوحشته والأحزان التي فيه، يفكر في المستقبل المشرق الذي ينتظره.

بدلًا من أن يفكر في هؤلاء الذين فتحوا للحزن بابًا في قلبه، يفكر في عوض الله له، في الأشخاص الذين سيحبونه حقًّا، ويعيشون حياتهم لأجله.. لأجله هو فقط.

اخلق لنفسك أهدافًا جديدة في حياتك، لا تجعل أساسها وجود أشخاص بجانبك، فكلنا راحلون، ولكن اجعل نفسك هي رفيقتك في رحلتك، وحينها عندما تصل، ستجد كل ما أردته يومًا.

ستجد هؤلاء الأشخاص الذين ظلموا قلبك في الماضي يتهافتون عليك، لكنك حينها ستكون قد تعلمت الدرس جيدًا.

سيخلق الله لك حينها روحًا مشرقة تنسيك كل آلام الماضي، ستكون السعادة عنوان حياتك، مع من يحبك حقًّا، حب ليس مبنيًّا على أي مكاسب، إنما هو يحبك أنت وفقط، ينبض قلبه لأجلك وكفى.

"ليس من شيء يثبت شيئًا ما في الذاكرة مثل الرغبة في نسيانه" ميشيل دي مونتين

لا تجعل عقلك ينشغل طوال اليوم بالنسيان، لا تسأل نفسك كل حين وآخر كيف سأنسى، كيف سأعبر تلك المرحلة من حياتي، فما من شيء يثبت تلك الذكريات في عقلك أكثر من هذا.

انشغل بحياتك الجديدة، طموحك وأحلامك التي ما زال الطريق أمامك لتصل إليها، فالوقت لم يمضِ بعد يا صديقي وطالما هناك يوم جديد، فهناك حلم جديد.

قد يكون أعظم المحفزات التي ستجعلك تقهر هذا العدو إيمانك أن الله لن يتركك وأنت تستنجد به، الله ﷻ يقول:

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ [الضحى: ٣]

أتظنه ينساك في ظلمة الليل الحزين، يتركك وحيدًا لا تجد ملجأً، هو الملجأ الدائم الذي لا يغيب.

اذهب إليه فهو ما زال ينتظرك، اسجد وتقرب له، اشتكِ له من قسوة هؤلاء، من حزن قلبك الصغير، سيجبرك برحمتك، وينصرك بقدرته.

حياتنا تبنى على الذكريات، البعض منها يجعل حياتنا أفضل، والبعض الآخر يعلمنا دروسًا سنتعلم منها اليوم وغدًا، حتى نصبح في النهاية كما أرادنا الله.. أقوياء.

كما قلت لك مسبقًا، ليس للنسيان وصفة علاجية، إنما هي خطوات، ستجد قلبك يحفزك على المسير أحيانًا، وستجده يتعلق بالماضي أحيانًا أخرى، هو كالطفل الصغير لم يستطع بعد التفريق بين ما يحبه وما يضره، لا تجعله يضعفك، ولا تتخيل أن عودتك إليهم ستجد فيها الراحة والحب، هم لم يحبوك يومًا!

لا تجعل قلبك ينخدع بتلك الذكريات الجميلة معهم، فلو كانوا صادقين ما أمست ذكريات.

اجعل حياتك دومًا تملؤها الفرحة، ليس بالأشخاص وإنما بنفسك، تذكر دومًا أنك الأجمل، تذكر دومًا..

أنك تستحق الأفضل

الفصل الرابع
مفيش نصيب

"ما كل ما يتمنى المرء يدركه، تجري الرياح بما لا تشتهي السفن" المتنبي

الحياة رحلة طويلة لم نعلم لها بداية، ولا نعرف كيف ستكون النهاية، نمر بمراحلها العديدة دون أن نعلم أين ستكون محطتنا القادمة، هل ستكون في أحلامنا التي صنعناها لأنفسنا، أم سنظل هكذا، هل سنستطيع الوصول إلى ما حلمنا به يومًا، أم ستكون مجرد باب آخر من الحزن.

تلك هي الحياة، تسير بنا كما تريد، ونحن لا نعلم أين ستكون وجهتنا المقبلة.

كلنا لدينا أهداف في تلك الحياة، البعض نحققه، والبعض الآخر يظل كما هو! مجرد هدف، لا نعلم هل أصبح من المحال تحقيقه؟! أم هو ليس لنا من البداية؟

تظل تلك التساؤلات عالقة في أذهاننا حتى نصل إلى المقولة الشهيرة..

مفيش نصيب!

تلك الجملة التي دائمًا ما تتوقف عندها الأحداث، تشعر وكأن الأرض توقفت عن دورانها، والشمس أعلنت موعد غروبها، الطيور هاجرت، والبسمة اختفت، تظن أنك ستصبح إنسانًا جديدًا لم تعرفه يومًا ولم تعهده، لا يظهر على وجهه سوى تلك الأحزان التي زارته مع تلك الجملة.

تمر أمامك بعض الذكريات، قد تكون حدثت في خيالك فقط، ولكنك عشت معها شعورًا لن تستطيع نسيانه أبدًا، أحببتها من قلبك، والآن تشعر بالعجز أمام تلك الجملة، فأنت لا تستطيع تغيير ما يسمونه بالنصيب، فماذا ستفعل؟!

دعنا في البداية نتعلم معنى كلمة نصيب، إنها الحكمة الإلهية التي تسري بها حياتنا، تنظم لنا خطواتنا، وتعبر بنا من كل محطة إلى المحطة المقبلة، قد لا نرضى عنها في جميع الأحوال، ولكن في النهاية هي طريقنا الوحيد، الذي لم نستطع يومًا تغييره أو الوصول لطريق آخر، فأصبحنا هكذا، تجري الأيام بنا دون جديد يذكر أو قديم يعاد، العمر ينقضي بنا ونحن ثابتون لا نعلم ماذا نفعل، هل هناك من مخرج لنا من تلك الأحزان، أم هو بالفعل كما يسمونه: "مفيش نصيب".

بعد فترة من الزمن، نحاول أن نقف مرة أخرى، ونبني أحلامًا أخرى، ولكن نجد أنفسنا غير قادرة على المضي قدمًا، نجدها تعود بنا مرة أخرى إلى الذكريات الأليمة المرتبطة بحلمنا الذي أصبح رمادًا..

كل هذا لأننا لم نصارح أنفسنا بالسقوط، نعم سقوط وليس فشلًا، فالفاشل هو من لا يحاول، كبرياؤنا تمنعنا من الاعتراف بالهزيمة، فنظل نقنع أنفسنا أننا أفضل من الأمس، ولكن يا ليتنا هكذا بالفعل!

لكن الآن وصلنا إلى الطريق الصحيح، الذي سيجعل تلك الأحزان تتلاشى، وتجعلنا نقف ثانية لبناء أحلامنا الجديدة، ولكن تلك المرة دون رجعة.

أولى مراحل الاعتراف بعدم قدرة تحقيق الحلم هي مراجعة النفس، جرب أن تسأل نفسك هل قصرت؟ هل كان في استطاعتك أي شيء يجب عليك فعله ولم تفعله؟

هل لم تأخذ بالأسباب؟!

إذا كان الجواب نعم فيجب عليك مراجعة تلك النفس وإصلاحها، لأنها إن استمرت هكذا، ستنهي جميع أحلامك، وتجعل منها مجرد ذكريات تؤلمك كل حين وآخر.

وأما إن كان جوابك لا فدعنا نعود بذاكرتنا إلى بداية هذا الحلم، كيف وجدت شغفه؟

هل كان حلمك منذ الطفولة أم صادفك خلال رحلتك، استعد ذكرياتك معه للحظات قبل أن ننهيها تمامًا وللأبد.

تذكر تلك المصاعب التي واجهتك في الطريق إليه، كيف تغلبت عليها، كيف كان شعورك عندما أحسست فجأة أن حلمك يتناثر بعيدًا عنك، كيف أصبحت حياتك يملؤها اللون الأسود فجأة، ودون سابق إنذار.

إن الله حين خلق تلك الحياة، جعل فيها العادل والظالم، المذنب والتائب، الغني والفقير؛ حتى يبين لنا أن تلك الحياة فانية،

لا ملك يبقى للأبد، ولا عناء يدوم.

فانية يا أللّه، فلا تجعل لنا فيها شقاءً.

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾

[البلد: ٨-١٠]

الله ﷻ خلقنا جميعًا على نفس الهيئة، ولكن ليس أي هيئة، ﷻ يقول: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾ [التين: ٤]

الله صورنا في أجمل الصور وأفضلها، ليس أحد أجمل من الآخر، وإنما نحن من صنعنا تلك المقارنات.

إن الله هيأك لتلك الحياة، لكي تستطيع السير في طريق أحلامك، مهد لك الطريق قبل أن تعلمه، وجعلك في أفضل صورة، حتى تحب نفسك، فتحب حياتك.

"اعلم أن الآلة التي تدير هذا العالم إنما تُدار من فوق حيث لا تصل إليها اليد التي تحاول أن توقفها أو تبطئ من حركتها أو تزيد فيها" مصطفى صادق الرافعي

أولى مراحل العودة إلى الطريق الصحيح هي الإيمان بأن هناك أحدًا يرعاك، وأن تلك الحياة لا تسير على مرادها أو مرادنا، إنما تسير بقدرة عجيبة لا نستطيع الوصول إليها يومًا في حياتنا.

الله ﷻ حينما أراد لك ذلك الشغف، إنما أراد لك التعلم، كيف تخطئ وتصيب؟ كيف تفرح وتبكي؟ تلك المشاعر لم تكن لتشعر بها لولا تلك المواقف التي تعرضت لها في طريق السير إلى حلمك، هذا النضوج لم تكن لتتوصل إليه دون ذلك الطريق، الإيمان بقدرة الله ورحمته دومًا ما يكون البداية.

هل سألت نفسك يومًا، ماذا كنت ستفعل بعد تحقيقك هذا الحلم؟ هل كنت ستفرح؟! هل هذا الشعور الغائب كان سيصبح ملكك!

بالطبع أنت لا تعلم، فالذي خلق السعادة هو أيضًا من قدر أمرك، أتظنه يسير بك إلى طريق الحزن، أم تظنه لا يريد لك السعادة؟!

حاشاه، إنما فقط يريد لك التعلم، تعلم الحياة..

"ليس كل ما تراه سيئًا هو بالفعل كذلك، فأنت لا تعلم ماذا يخبئ القدر!"

حين نقرأ قصة موسى عليه السلام وسيدنا الخضر، نجد أروع مثال في عجائب الأقدار، والتي في كل موضع فيها كان يرد عليه بنفس الرد..

﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٥ ﴾ [الكهف: ٧٥]

تبدأ القصة عندما عاد موسى -عليه السلام- فوجد رجلًا حوله عشب أخضر فسلّم عليه وعرّفه بنفسه، فعرفه الخضر وقال له بأنّه موسى

من بني إسرائيل، وأنّ الله -تعالى- آتاه علمًا لا ينبغي تعليمه وهو التوراة، وأنّ الله آتى الخضر علمًا لا ينبغي لموسى أن يعلمه.

ثمّ نظر إلى البحر وإذ بطائر أخذ القليل من الماء بمنقاره، فقال الخضر: وما علمي ولا علمك بالنسبة لعلم الله إلّا كما أخذ هذا الطائر من البحر، فبادره موسى -عليه السلام- بطلب العلم عنده، فقال له الخضر: إنّك لن تستطيع أن تصبر، وقال ذلك لأنّه يعلم أنّ موسى -عليه السلام- لا يسكت عن الإنكار على مخالفة الشرع لأنّه معصوم.

ولكنّ موسى تعهّد له بألّا يعصي له أمرًا، وألّا يسأله عن شيء يفعله حتى يُفسّره له، فوافق الخضر على ذلك، وبدأت الرحلة..

فعندما أرادوا أن يعبروا البحر ركبوا في السفينة، فجعل الخضر فيها ثُقبًا ووضع فيه وتدًا، فغضب موسى وقال للخضر بأنّه سيكون أول الهالكين لأنّه أراد هلاك الناس في السفينة، فذكَّره بالعهد الذي قطعه فتذكّر ثمّ قال له الخضر ألم أقل لك إنّك لن تصبر على رفقتي، فاعتذر منه وقال لا تلمني بما قلت.

وما إن وصلوا إلى الساحل حتى وجدوا مجموعة من الفتيان يلعبون فأخذ الخضر أحدهم فقتله، فغضب موسى -عليه السلام- وقال له:

أقتلت نفسًا بريئة من دون ذنب، إنّ هذا لأمر فظيع.

ما زال ينكر تلك الأحداث التي لم يشهدها من قبل، قلبه لا يستطيع الموافقة على الأذى، ولكنه ما زال لا يعلم!

فذكّره الخضر بالعهد وقال له ألم أقل لك إنّك لن تصبر على ما أفعل، فاعتذر منه موسى -عليه السلام- وطلب منه فرصة أخيرة، وقال له إن سألتك عن شيء بعدها فلا ترافقني، ثمّ تابعوا رحلتهم.

حتى دخلوا على قرية مسّ أهلها الجوع والتعب فطلبوا من أهلها بعض الطعام فلم يطعموهم شيئًا، ثمّ وجدوا جدارًا لأحد البيوت قارب على الانهيار، فأقامه الخضر فتعجّب موسى -عليه السلام- من ذلك وقال له لو أنّك أخذت منهم أجر عملك لكان خيراً لك، فقال له الخضر سنفترق وسأخبرك بتفسير الأعمال التي لم تصبر عليها.

حيث إنّ السفينة كانت لأناس مساكين يعملون في البحر وكان هناك مَلك ظالم يأخذ أفضل السفن ويترك السفن التي فيها عيب أو نقص، فلمّا رأى الثقب الذي صنعته تركها لهم.

وأمّا قتل الغلام فلأنّه كافر وسيضر والديه بكفره وعناده وكبره، وضرر موته على والديه أقل مفسدة ممّا سيفعله بهما لو كان حيًّا وسيبدلهما الله بولد مؤمن يُدخل السرور على قلبيهما.

وأمّا الجدار الذي في القرية فكان أسفله كنز لولدين يتيمين كان أبوهما مؤمنًا، فأراد الله أن يبقى الكنز تحت الجدار القديم ولا ينهار حتى يبلغا سنّ الرشد.

وفي النهاية قال:

﴿ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢ ﴾ [الكهف: ٨٢]

أرأيت، تلك الأحداث التي لم يستطع قلب العبد المعصوم من الخطأ استيعابها، كانت خيرًا لقلوب لم تعلم حينها ذلك، فهي ليست معصومة، إنما هي تخطئ وتعود مثلنا.

كذلك أنت، لم تعلم يومًا أين الخير لك، تظنه في أمنيتك التي حزنت على فراقها، ولكنك لم تعلم أن تلك بداية الخير الحقيقي لك..

"العبد في نهاية المطاف شبكة مِن أقدارِ الله، أنتَ كُلك على بَعضِك شبكة أقدار إلهية؛ تجري عليك، أنتَ منسوجٌ من خيطين -خيط عطية وخيط بلية- هذهِ كُل الدنيا؛ إما بلايا ومحن ومصائب ورزايا تستوجب الصبر، وإما عطايا ومنح وكرامات ومواهب ومنائح تستوجب الشكر، وهنا المؤمن "

عدنان إبراهيم

لو استطاع أحد منا اختيار حياته، فلن نجد شيئًا اسمه الحزن، إنما تلك المشاعر المتعاقبة هي سنة الله لنا في الأرض حتى نتعلم أن تلك هي الأيام وتلك هي الحياة.

﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]

عندما تجد الحياة تملؤها السعادة من كل جانب، أمنياتك تتحقق، كل شيء تريده تملكه، لا يوجد أي شقاء، لا توجد أي دروس، هناك ستبدأ في الشعور بالملل، فالإنسان بطبيعة حاله يمل

من الروتين المتكرر، ستجد نفسك بدأت تمل الأشياء التي كنت تحلم بوجودها سابقًا، كما يقول المثل:

"الممنوع دومًا مرغوب، والمرغوب ممنوع"

لذلك نوَّع الله لك تلك الحياة، فلا سعادة تدوم، ولا حزن يبقى، إنما هي دروس تتعلمها في طريقك، تصاب ببلاء فتتعلم الصبر، وترزق بسعادة فتتعلم الشكر.

"كي تصل إلى كنزك عليك أن تكون يقظًا للعلامات، فقد كتب الله قدرنا على جبيننا، واختار لكل منا الحياة التي عليه أن يحياها، وليس عليك إلا أن تقرأ ما كُتب لك"

"PAULO COELHO, THE ALCHEMIST"

إن الله لم يطلب منك شيئًا فوق احتمالك، عندما رزقك الشغف بذاك الحلم كان يعلم أنك ستتعلم الدرس جيدًا، كان يعلم أنك ستستطيع تحقيقه، وأنك أقوى من الفشل، أنت أقوى من أي عدو يريد تحطيمك، فليس عليك إلا السير في طريقك، إن رزقك الله تحقيقه ففضل وكرم منه، وإن لم يرزقك فلمَ الحزن؟!

أنت تسير في طريق ممهد لك قبل مجيئك؛ فالله ﷻ يقول:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

إننا بشر، وكيف يكون البشر بلا قلوب يشعرون بها، أعلم أن الحزن قد يطغى على جوانب حياتك يومًا، حين تتذكر تلك البدايات

التي كانت تملؤها الفرحة، كيف شعرت أن الحياة تغيرت أخيرًا لما تريده، وأن الله استجاب لدعاء طال في جوف الليل، كيف تخيلت حياتك القادمة في وجود ذلك الحلم الذي لم يعد ملكنا الآن..

تلك هي الذكريات التي يريد عقلك في كل ليلة إضعافك بها، فأنت الذي حلمت، وأنت الذي حاولت، وأنت الذي يملؤه الحزن الآن، فماذا أنت فاعل؟

هل ستتركهم ينهون حياتك قبل موعدها، أم ستقف مجددًا، وتحلم من جديد؟

"لا تحاول البحث عن حلم خذلك، وحاول أن تجعل من حالة الانكسار بداية لحلمٍ جديد"

إن الأحلام لا تنتهي، حاول أن تبدأ في شيء جديد، فقد يجعل الله فيه الوصول، قد يكون هو عوضك الذي ما زلت تنتظره.

"عن عيسى ﷺ أن إبليس جاء إليه فقال له: ألست تزعم أنه ليس يصيبك إلا ما كتب الله لك، قال: بلى، قال: فارم نفسك من هذا الجبل فإنه إن قدر لك السلامة تسلم، فقال: يا ملعون إن الله عز وجل يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه ﷻ"

" ابن الجوزي، الأذكياء"

ليس لك أن تختبر الله في قدرك، فهو الذي يحدد لك وليس أنت من تملك قدرك.

إيمانك أن الله معك في كل خطواتك دومًا ما ييسر لك الكثير، فالله الذي خلقك يعلم ما بداخلك، يعلم كيف تحزن وكيف تسعد، يعلم أنك تحملت الكثير، والإيمان بالقضاء والقدر ليس بالشيء الهين على الإنسان، فالبعض يمضي حياته كاملة للبحث عن حلم واحد لا يتغير، فكيف يقتنع ذلك الشخص أن هذا الحلم ليس بالخير له؟

كيف يتحرر قلبه من ذاك الحلم حتى يمتلئ بشغفه الجديد تجاه الحلم الذي قدره الله له، إنما هي خطوات، تسير واحدة تلو الأخرى، لن تستطيع الوصول إلى النهاية إلا إذا مررت بتلك المحطات، سوف تصنع فيك الكثير، البعض ستسعد به، والآخر ستتعجب من حدوثه!

فعدم استيعابنا للقدرة الإلهية يجعلنا دومًا في دوامة التفكير، تسأل نفسك، لماذا يحدث هذا معي؟ لماذا القدر يسير عكس الطريق الذي أتمناه؟ لماذا كل ذلك؟!

وتظل لا تعلم الإجابة حتى يحين الموعد، الموعد الذي يطلعك الله فيه على حكمته، سترى الطريق الذي تريده ولكن من ناحية أخرى، ذاك الجانب المظلم الذي لم تتوقعه يومًا، كنت دائمًا ترى الجانب المشرق في حلمك، سعادتك تتحقق.. الأيام تلو الأيام تمضي في فرحة وبهجة، كنت تتمنى الاستمرار هكذا، لكنك لم تكن تعلم ماذا ينتظرك بعد..

"ستة أشياء إذا ذكرتها هانت عليك مصيبتك؛ أن تذكر أن كل شيء بقضاء وقدر، وأن الجزع لا يرد عنك القضاء، وأن ما أنت فيه أخف مما هو أكبر منه، وأن ما بقي لك أكثر مما أخذ منك، وأن لكل قدر حكمة لو علمتها لرأيت المصيبة هي عين النعمة، وأن كل مصيبة للمؤمن لا تخلو من ثواب ومغفرة أو تمحيص أو رفعة شأن أو دفع بلاء أشد، وما عند الله خير وأبقى"

(عبد الله محمد الداوود، متعة الحديث - الجزء الأول)

عندما تقرأ في سورة مريم، تجد أن قصتها بدأت بشيء فاق توقع العقول والقلوب، لا يستطيع بشر تصديقه، فكيف بالذي يفعله!

عندما أمرها الله بإنجاب سيدنا عيسى، لم تجعل للشك موضعًا في قلبها أن القدر سيظلمها، وإنما كان إيمانها بالله يفوق كل شيء، إيمانها أن قلبها الضعيف لن يقهره أحد ما دام الله بجانبها.

قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١ ﴾ [الأنبياء: ٩١]

إنه روح من الله، فهل سيظلم الله روح عبده، حاشاه..

وأنت أيضًا، حينما تنظر لذلك الطريق الذي لا تجد له أي ملامح للنجاح، قد لا تستطيع أن تراه في الأصل، كل ارتباطك به أن الله قدر لك السير فيه بعدما انتهى حلمك القديم.

تأكد أن ذلك الطريق يعرفك جيدًا، وأن هناك قصصًا وحكايات ستكتب لك على هذا الطريق، قد يكون هو الطريق الذي ستتبدل فيه ملامح حياتك، ولكن تلك المرة إلى الأبد.

"كل شيء يمضي في اتجاه محدد سلفًا، فنحن نبحث عن مصائرنا التي تريدنا وليس التي نريدها، ربما نعثر على مصائرنا التي تريدنا أثناء بحثنا عن مصائرنا التي نريدها، ثم تضخ فينا شحنة سماوية غريبة بأن هذا هو أفضل ما يمكن أن يحدث لنا"

بثينة العيسى

هذا أفضل ما يمكن أن يحدث لنا، حينما تنتهي الحياة من تعليمك دروسها، ستعلم أن ما كان.. كان يجب أن يكون.

تلك المحطات التي مررت عليها كان يجب المرور بها، فأنت لم تعلم يومًا ما الذي ينتظرك تاليًا، كنت فقط تنظر إلى لحظات السعادة التي تعيشها، لم تفكر في المستقبل، حينما كان يدبر الله لك الأمر وأنت لا تدري! حتى تصل في النهاية إلى أجمل الأقدار.

"ومن عَجَب الأيام أنَّك تبتغي المهذبَ في الدنيا ولست مُهذبا"

ابن الرومي

يجب أن تكون نعم العبد، العبد الذي يريده الله بحق، ليس الذي يرى تلك الحياة وكأن جميع ألوانها اتحدت في لون واحد يغلب عليها وهو الأسود حتى إنه لا يشكر الله على ما وهبه من نعم لأن

عقله لا ينشغل إلا بتلك الأحزان.

في كل صباح تستيقظ فيه من نومك تلك نعمة جديدة تستحق الشكر، يخبرك الله بها أن الأمل ما زال باقيًا، وأن حلمك ما زال ينتظر وصولك.

أحيانًا تسأل نفسك.. وهل لا يوجد مفر من القدر؟!

هل لا يوجد أي طريقة حتى يتحقق ذلك الحلم، الذي قضيت أيامًا طويلة تخطط له، هل سيذهب كل ذلك هباءً، والأهم من ذلك ماذا عني؟! ماذا سأفعل؟!

هل سأستمر بالمشاهدة ولا أفعل شيئًا، هل هذه إرادة الله؟!

لا يا صديقي، فالله لم يجعل تلك الأقدار نافذة في كل الأحوال، فعندما تقرأ في أنواع القضاء والقدر تجد أن هناك نوعين من القضاء:

أولهما القضاء التام وهو الذي لا رجعة فيه كالموت، فأنت لن تستطيع فعل شيء كي لا تموت، فقد صدق الله حينما قال:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ ﴾ [الرحمن: ٢٦]

أما النوع الآخر وهو القضاء المعلق، وهذا القضاء يتوقف على تصرفك في ابتلاء الله لك، هل ستيأس وتتوقف عن المحاولة، أم ستجتهد في طريق حلمك الذي تريده تاركًا خلفك كل العوائق التي تخبرك باستحالة تحقيق ذاك الحلم؟

وهنا يأتي دور أعظم الأسلحة التي يمكنك استخدامها وهو الدعاء، فقد قيل إن القدر والدعاء يتصارعان، وكلما كان دعاؤك أقوى كانت قدرته على تغيير قدرك أكبر.

ومن رحمة الله بنا أنه لم يخبرنا بما سيكون من أقدارنا قضاءً تامًّا وما هو قضاء معلق؛ حتى يترك أمامنا الطريق لنسعى في كل المحطات التي نقابلها، لعل الباب الذي نرجوه قد يفتح لنا في أي وقت ونحن ندعوه ونتمسك بالأمل الدائم أنه لن يخذلنا أبدًا، وأنه دومًا وأبدًا معنا وبجانبنا.

لهذا كان من دعاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ "اللهم إن كنت كتبتَني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبت عليَّ الذّنب والشِّقوة فامحُني وأثبتني في أهل السّعادة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أمّ الكتاب"

أخرجه الطبري في جامع البيان

وكان من دعاء الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ: "اللهم إن كنت كتبتني في أهل الشقاء فامحني وأثبتني في أهل السعادة".

أخرجه الطبري في جامع البيان.

يجب أن نوقن بأن رحمة الله ودعاءنا قد يطغيان على القدر.

أتعلم كم مر منذ أن قدر الله لك ذلك البلاء، كم يومًا توقفت فيه حياتك على أمل أن تكون بحلم، ولكنه كان يصرخ أنه واقع يجب

أن تعبره حتى لا تنتهي حياتك قبل بدايتها..

"لا أؤمن بالحتمية، فالله حينما يسوقنا إلى قدر، هو في الحقيقة يسوقنا إلى نفوسنا"

مقولة

تجلس لتحدث نفسك أنه أصابها من الهم ما يكفي، فماذا بعد؟!

تتخيل أنك قد ابتعدت بالقدر الكافي الذي يجعل نفسك لا تستطيع النهوض مجددًا، لم تعد تمتلك زمامها، أصبحت المهمة شاقة، أنت الآن تسميها بالمستحيلة.

قد يكون ذلك لأنك لم تقرأ معجزات قد جعلها الله واقعًا، أو أن تلك الأهوال جعلتك تفقد الثقة في قدراتك.

إن قلبك الذي ينبض من أجل تلك الحياة، إنما يرسل إشارات ليخبرك أنك ما زلت قادرًا على الاستمرار، ما زال باب الأمل مفتوحًا، وأنه طالما هناك غد جديد فهناك أيضًا حلم جديد.

إن الله يبشرنا ببعض الأشياء التي ستغير حياتنا إلى الأبد، ولكننا قد لا نلقي لها بالًا، فنحن لا نرى إلا الحزن الواقف بيننا وبين ما نريد.

"إن الشمس لا تدعو أحدًا ليراها، لنكن على قدر الشمس إذ تشرق، وعلى قدرها إذ تغرب"

لتكن أحلامك هي الحياة التي تتنفس من أجلها، لا يهم كم فات من الوقت، دع الماضي على أمل أن الله سينسيك إياه حين يحين الموعد، واجعل بدايتك من اليوم، انفض غبار حياتك القديمة، واخرج لتواجه الحياة، لتواجه مصيرك.

اجعل ذكر الله والقرب منه هما منوال حياتك، فمن بيده ملكوت السماوات والأرض يستطيع أن يغير كل شيء لك، ومن أجلك.

وفي هذا الطريق قصة قرأتها ذات يوم سوف أحكيها على لسان صاحبها لعل قلبك يشعر بما تحمله من رحمة الله وعظمة القرب منه، ولتعلم أن الله دومًا بجانبك، وأنه سبحانه لن ينساك أبدًا، وأن الخير سيطرق بابك قريبًا.

يقول صاحب القصة على لسانه:

"وأنا معيد نزلت مجموعة LIFE INSURANCE في الجامعة، لقيت طالب بيقوللي ممكن حضرتك ناخد البريك وقت الصلاة؟!

فعلًا كان أول مرة أسمع الطلب ده، ووافقت لأنه كده كده كان قريب من وقت البريك اللي أنا محدده، المهم إن مرة بعد مرة حبيت الولد دا جدًّا هو واتنين صحابه وعلى فكره سننا كان لسَّا قريب جدًّا من بعض، بقيت في البريك بنزل أصلي معاهم ونرجع المحاضرة، عجبنى جدًّا روحهم الحلوة وابتسامتهم على طول.

في آخر الترم واحد منهم جه قال لي اطلع معانا عمرة، حبيت الفكرة، قال لي بس هنطلع بري! قلت له ليه كدا بس؟ ما فيش طيران؟ قال لي فيه وفي نفس اليوم ونازلين نفس الفنادق بس احنا هناخدها رحلة نستمتع بالصحبة والثواب بإذن الله!

بصراحة أنا ما كنتش فاهم صحبة إيه وإحنا رايحين عمرة.

في النهاية وافقت، ركبنا الأتوبيس، بعد شويه واحد مسك الميكروفون وعرفنا بنفسه بعدين قال أغنية (طلع اسمها أنشودة) وكان صوته جميل، بعدها كذا واحد يطلع يعرفنا بنفسه.

اللي قرا قرآن واللي قال أذكار واللي هزر شوية واللي بص على الجبال وقالّنا "خواطر" لما بيتأمل في خلق الله!

كنت بتفرج على اللي بيتكلم وعلى الناس اللي قاعدين كلهم كنت مستغرب نفسي قوي في وسط الناس دي، بس مش عارف ليه كنت حاسس إني مبسوط جدًّا.

وصلنا المينا، قبل العبارة صاحبي خدني يعرفني على واحد قاعد على الأرض مع سواق الأتوبيس واتنين كمان وبياكلوا، قال لي دا فلان صاحب شركة السياحة اللي طالعين معاها!

هو ما طلعش مع رحلة الطيران؟ لا هو بيحب يطلع البري علشان لو الناس احتاجوا حاجة!

مش هاعرف أقول حسيت بإيه ولا الراجل دا بابتسامته وتواضعه أثر فيا إزاي.

ركبنا العباره، لا الكباين صالحه للنوم ولا السطح ينفع حتى نفرد ضهرنا عليه لأن كان فيه طبقة غريبة لزجه شوية مغطية السطح.

كنا بنعاني حرفيًا بس الناس دي في كوكب تاني بيتكلموا ويضحكوا ويهزروا، واحد مرة واحدة بص للسما وقال: إحنا متبهدلين اهو، مش عارفين نمدد جسمنا حتى، كان ممكن نطلع طيارة...الثواب يا رب.

أنا لسَّا في حالة اللاوعي اللي أنا فيها، حاجات كتير مش مستوعبها ولا شفتها قبل كده، هو بيكلم ربنا؟ بحب كده؟ بهزار محترم قوي كده؟

برضه كانت لحظة غريبة عليا جدًّا، المهم وصلنا بعد يومين معاناة تامة، دخلنا فندق المدينة بعد نص الليل، طبعًا دخلت الأوضه على السرير هاموت وأنام، لقيت صاحبي بيقول لي يلا! يلا إيه؟ ننزل نسلم على الرسول ﷺ ونصلي قيام عند الحرم.

أنت مش طبيعي، أنا هنام شوية علشان أفوق كده بعدين أعمل كل ده، إنزلوا انتم، وفعلا نزلوا ونمت.

كنت تقريبًا بقعد في الأوضه لوحدي، كل فترة يرجعوا يناموا ساعه ولا اتنين وينزلوا الحرم يكملوا.

صاحبي دا كان نايم مرة، سمعت صوت بصيت له لقيته في سابع نومه وبيقول: لا يا " عمر".. "أبو بكر" ذهب إلي!

أنت بتحلم بإيه؟ انت بتكلم مين طيب؟ طب بالله عليك دخلني معاك في الحلم دا يا أخي..

وإحنا في الحرم قبل الصلاة واحد منهم بيقول النهارده آخر يوم في المدينة والإمام دا باعشق صوته يا رب يقرأ سورة الرحمن، وابتدينا الصلاة وبعد الفاتحة بدأ الإمام "الرحمن، علم القرآن"!

أنا في اللحظة دي بكيت، بكيت على نفسي جدًّا، هما إزاي الشباب دول كده، هما إزاي وصلوا لكدا مع ربنا، وإزاى ربنا مراضيهم كده، والفرحة وابتسامة الرضا مش بتروح من على وشهم كده، طب هو ليه أنا ما كنش أصحابي زي دول كانت حاجات كتير اتغيرت، أنا كنت فاكر إني عايش كويس ومبسوط، بس معاهم فهمت الفرق بين إني "أعيش" و إني "أحيا"

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧]

أرأيت كيف يرضي الله قلوب عباده؟ أرأيت كيف يهديهم؟ اللهم إنا نسألك الهدى والرضا.

الآن، لم يتبق لك الكثير لتقرأه، وإنما تبقى الكثير لتفعله، انهض وواجه حياتك، اجتهد، واسقط، وانهض من جديد، ستقابل أشخاصًا سيخذلونك، وآخرين سيكونون بجانبك، لا تحزن على هؤلاء، ولا تفرح كثيرًا بوجود الآخرين.

وإنما اجعل حزنك وفرحك لله وحده، تحزن إذا ابتعدت، وتفرح إذا اقتربت.

تلك هي الحياة، وهذا هو موعدك

الفصل الخامس
الحب

الحب، تلك الفطرة الطبيعية التي فطر الله عباده عليها، حينما جعل لهم قلوبًا تشعر بما يصيبها، تلك القلوب التي إن أحبت لم تعرف للكره معنى، وإن صدقت لم تعلم للكذب طريقًا.

الحب هو عندما قال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عند سؤاله عن السيدة خديجة: **قد رزقت حبها**.

وعندما أتى علي بن أبي طالب إلى كفن زوجته السيدة فاطمة باكيًا ليقول: **يا فاطمة.. أنا علي**.

الحب هو الغصن الرقيق الذي نلجأ إليه عندما تجتاح مشاكل الحياة قلوبنا، عندما لا نجد ملجأ إلا في تلك القلوب التي تنبض من أجلنا.. وبوجودنا.

ولكن إن لم يوجد الحب، فسيولد فراغٌ كبيرٌ بداخلنا، قد يمنعنا من رؤية الحياة بطريقتنا المعتادة، قد يؤرق علينا لياليا ونحن نبحث عن من نشاركه همومنا ولا نجده.

الحب هو أجمل شعور قد يشعر به المرء، قد يجعلك تملك الدنيا بأسرها، وأيضًا قد يجعل حياتك الأسوأ على الإطلاق!

تتوقف تلك الأحكام على طبيعة ما نحب؛ فهناك الحب اللدني وهو يتمثل في حب الأشخاص مِن حولك، وهناك الحب الأسمى، وهو أن تحب الله ثم نفسك. تلك النفس التي تحملت وعانت الكثير معك حتى أصبحت هشة، كالبيت الذي لم يزُره أحدٌ منذ قرون، ولم تضِئ الشمس أركانه منذ آخر مرة غابت عنها!

الحياة دومًا ما تعلمنا الكثير، بعض لحظاتها سعادةٌ لا توصف، والبعض حزنٌ لا يتوقف، إلا بإرادتنا!

"لا خير في حياةٍ يحياها المرء بغير قلب، ولا خير في قلبٍ يخفق بغير حب"

مصطفى لطفي المنفلوطي، ماجدولين

وعندما نتحدث عن النفس فإننا نتحدث عنك، بكل تلك النزاعات التي تملؤك، وتلك القضايا التي لم يصدر حكمك عليها بعد، نتحدث عن هؤلاء الأشخاص الذين فارقوا قلبك الذي كان ينبض من أجلهم، نتحدث عن حياتك القادمة وما تتمناه فيها، نتحدث عن الكثير والكثير..

"يقولون لي: لو عرفت نفسك لعرفت جميع الناس، فأقول لهم: ألن أعرف نفسي أولًا حتى أعرف جميع الناس!"

حكمة

فهل حان الوقت لنعرف أنفسنا!

جميعنا نحيا لنبحث عن الحب في كل طريقٍ نسلكه، فأحدنا يحتاج إلى رفيقٍ يعينه على دربه، والآخر يبحث عن أبٍ يعطي له نصيحةً تساعده في السير وعدم التوقف، وقد يحتاج أحدنا زوجةً تكون الدفء والحنان الذي يجعله يهرب من العالم إليها، كي تكون الدواء لكل مرضٍ قد يصيبه.

في النهاية كلنا باحثين عن الحب، ولكن الطرق مختلفة.

"قد يكون في الدّنيا ما يغني الواحد من النّاس عن أهل الأرض كافّة، ولكنّ الدنيا بما وسعت لا يمكنها أبدًا أن تغني محبًّا عن الواحد الذي أحبّه!، هذا الواحد له حسابٌ عجيبٌ غير حساب العقل، فإنّ الواحد في الحساب العقليّ هو أوّل العدد، وأمّا في الحساب القلبيّ فهو أوّل العدد وآخره".

(مصطفى صادق الرافعي، أوراق الورد)

عندما تصل إلى ذلك الشخص، تتغير معه كل الحسابات، تندهش من نفسك، كيف أصبحت هكذا؟ كنت تظن أن تلك المشاعر انتهت بلا رجعة، ولكنها اليوم تعود، تعود بالعوض الذي انتظرته طويلًا.

هناك أنواع كثيرة للحب، فقد تحب أحدهم لأنك تشعر بمدى قربه إليك، كصديقك الذي يرافقك الطريق، ذلك الصديق الذي قد تفني حياتك في سبيل إنقاذه إن كان في مكروه، فقط لأنك تحبه، وقلبك ينبض له.

عندما نبحث في سيرة الصحابة ومواقفهم التي تبين حبهم الشديد لرسول الله ﷺ، نشعر بقيمة ذلك الحب، فالآن قد تقابل حبًّا مزيفًا في كثيرٍ من الأحيان، ولكن ذاك الحب الطاهر الذي كانوا يكنّونه له كان كفيلًا أن يهون عليه صعوبة الطريق.

روي أن عمر قال للرسول ﷺ: "والله يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي"؛ فقال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه»، فقال عمر: "فأنت الآن والله أحب إليّ من نفسي"؛ فقال رسول الله ﷺ: «الآن يا عمر».

أي الآن قد آمنت حق الإيمان.

وهذا أبو بكر الصديق خليل رسول الله ﷺ بينما هو جالس في ناحيةٍ من نواحي المسجد الحرام إذ به يبصر عقبة بن أبي معيط أحد رؤوس الكفر متجهًا صوب رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يصلي؛ فأخذ أبو بكر يترقبه فإذا هو يخلع ثوبه ويضعه حول عنق رسول الله ﷺ ليخنقه، فما إن رأى ذلك حتى انطلق كالسهم تجاه هذا الكافر، ثم أخذ بمنكبه ودفعه دفعةً شديدة، ونجا رسول الله ﷺ من كيده، ثم أخذ يردد الآية الكريمة: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [غافر: ٢٨]

وارتبط حبهم له رضوان الله عليهم بالخوف من فراقه، ومن يألفه عليه الصلاة والسلام ويتعامل معه فلا شك أنه سيجزع لفراقه فهو مصدر أمن وأمان لأصحابه، وقد كان ﷺ يعامل كلا منهم حسب طبعه وسنه، فهو الأب الحاني لكل طفل، وهو الأخ العائن لكل مسلم، وهو النصير المساعد لكل محتاج، وهو السند لكل يتيم.

أخرج أحمد عن معاذ بن جبل ﷺ قال:

" لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب، ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري» ".

مجمع الزوائد

ولم يكن خوفهم من فراقه يقتصر على الدنيا بل تعداه إلى خشيتهم من فراقه في الآخرة، فالحب لا يموت إن ماتت الأجساد، وإنما يظل باقيًا في الأرواح.

"أخرج الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إليّ من نفسي، وإنك لأحب إليّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئًا حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾ [النساء: ٦٩]"

(مجمع الزوائد)

أرأيت شدة التعلق والمحبة؟! إنهم لا يريدونه بجانبهم في الحياة فقط، وإنما يخشون على موته لأنهم لا يعلمون منزلتهم.

هل هناك شخص يستطيع أن يملك كل ذلك الحب؟

هل صادفت شخصًا قد يفضلك عن نفسه لكثرة الحب الذي يكنّه في داخله لك؟

هذا ما فعلته إحدى النساء مع رسول الله ﷺ.

" أخرج الطبراني عن أنس بن مالك ﷺ قال: لما كان يوم أُحد خاض أهل المدينة خيضة وقالوا: قُتِل محمد، حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار محرمة فاستقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها لا أدري أيهم، استقبلت بهم أولًا، فلما مرَّت على أحدهم قالت: "من هذا؟ "قالوا: "أبوكِ، أخوكِ، زوجكِ، ابنكِ"، تقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ "يقولون: "أمامك"، حتى دُفعت إلى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه، ثم قالت: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي إذ سلمت من عطبٍ ".

حلية الأولياء

لا أبالي إذ سلمت..

عندما نجد الحب، نشعر بأننا أقوياء، ونستمد تلك القوة دومًا ممن نحبهم، نوقن أنه لن يمسنا مكروه ما دمنا معهم، وأي مكروه قد يكون أصعب من فراقهم؟!

"بعد المشوار الطويل الذي يقطعه القلب، نحتاج إلى راحةٍ طويلة، تمامًا كما نفعل بعد المشوار الطويل الذي نقطعه بأقدامنا، فالعواطف كالدم واللحم، والأنسجة تحتاج إلى وقت لتتجدد ".

مصطفى محمود

فإننا إن أصابنا الفراق، وحدد القدر نهاية ذلك الحب، نجد الحياة تتبدل شيئًا فشيئا، الألوان الجميلة تبهت بالتدريج، الابتسامة التي تعلن عن إشراق يومٍ جديدٍ تختفي، ذلك لأن القلب قد أنهك، وأعلن حاجته لراحةٍ حتى يستطيع أن ينبض من جديد.

ذلك القلب الذي كان يعينك على تلك الصعوبات من أجلهم، يحتاج عونك الآن لكي تساعده على تخطيهم، ومن يفعل هذا سواك!

"عندما نلتقي أحدهم ونقع في غرامه، نشعر أن الكون كله يطاوعنا في هذا الاتجاه، هذا ما حدث لي اليوم عند مغيب الشمس، لكن إذا حدث خلل منا، فإن كل شيء عندئذ يتلاشى ويختفي! ترى كيف يمكن للجمال الذي كان حاضرًا بقوةٍ أن يختفي بهذه السرعة ويتلاشى؟!"

ELEVEN MINUTES ،PAULO COELHO

عندما خلقنا الله، جعل الفطرة الأولى في قلوبنا هي الحب، فأول شخصٍ تنظر إليه بعد ولادتك هو أمك، حينها تتعلق بها ولا تسكن إلا بوجودك معها، تلك الإنسانة التي لم نتعرف عليها بعد، ولكن قلوبنا لم تنتظر، فهي تكن لها الحب الأسمى والأنقى في تلك الحياة، حب نابع من روح الله التي تجعلنا نتقوى بها على كل مصاعبنا.

لن نبالغ إذا قلنا إن الحب هو الحياة، الحب الصادق فقط.

الحب الذي يجعلك تبدأ كل يومٍ بأملٍ، ووجهك مشرق، وابتسامة تعلو شفتيك لأنك ستقابل من تحبه، ستعيش معه يومًا جديدًا يضاف إلى الذكريات الجميلة التي تجمعكما معًا.

وفي قصص حب الرسل والصحابة لزوجاتهم الكثير مما يؤكد حديثنا هذا.

فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي كان يحب زوجته سارة حبًّا شديدًا، حتى إنه عاش معها ثمانين عامًا وهي لا تُنجب، لكنه من أجل حبه لها لا يريد أن يتزوج غيرها أبدًا حتى لا يؤذي مشاعرها، ما الذي يحمل المرء أن يعيش ثمانين عامًا دون الإحساس بمشاعر الأبوة، إلا إذا كان يملك زوجةً وطفلةً معًا. وبعد أن ألحت عليه ليتزوج السيدة هاجر، لم يَقِل حبها يومًا عنده، إنما ازداد.

فما أجمل أن تملك زوجةً تكون في المصاعب سندٌ لك، فإذا ذهبت الشدة، وجدتها طفلةً تحتاج إلى حنانك دومًا، تشعرك بأنه إذا انطفأت لن تذهب إلى أي نورٍ آخر، ستختار عتمتك.

وهذا قدوتنا ومعلمنا ﷺ الذي لم يستَحِ من إعلان حبه لعائشة حين عاد عمرو بن العاص منتصرًا من غزوة ذات السلاسل، وسأله: مَن أحب الناس إليك؟ -ظنًّا منه أنه سيكون هو- فقال له ﷺ أمام الناس: عائشة! فقال عمرو: إنما أسألك عن الرجال، فقال ﷺ مؤكدًا اعتزازه بعائشة: أبوها، ولم يقُل "أبو بكر" أو صاحبي، هل رأيت؟!

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ وقد كان مشهورًا بشدته فتجده يراعي هذا الحب، فيفرض لأمهات المؤمنين عشرة آلاف من العطاء، ويزيد عائشة ألفين!، وحين يُسأل: وما السبب يا عمر؟ يقول: **إنها حبيبة رسول الله.**

صلوات ربي وسلامه عليك يا رسول الله.

"الحب لا يعرف أي قانون"

بوريسيوس

إن قلبك ليس كالآلة التي صممت من أجل تنفيذ مهام بقوانينَ معينة لا تحيد عنها، فهو لا يعطيك إشارة قبل أن ينبض لحب أحدهم، وإنما تجده فجأة ودون سابق إنذار ينبض من أجله فقط.

كان مسروق -وهو أحد علماء الحديث الكبار- إذا روى حديثًا عن عائشة رضي الله عنها، قال: عن الصِدِّيقة بنت الصدِّيق، حبيبة رسول رب العالمين.

ما أنقى تلك المشاعر، فالرسول لم يكن يمتلك زمام قلبه لذلك كان دعاؤه الدائم:

"اللهم حاسبني فيما أملك، ولا تحاسبني فيما لا أملك"

وما كان ذلك الذي لا يملكه؟ إنه القلب..

وفي ديننا الحنيف، فقد راعى الله قدر ذلك الحب، فهو يعلم أن ليس لقلبك حيلة في التعلق بأحدهم ولذلك عندما جاءه -كما روى ابن عباس- رجلٌ وقال له: عندنا يتيمة قد خطبها رجلان: موسِر ومُعسِر، قال له: فهَواها مع مَن؟ قال مع المُعسِر، فقال رسول الإنسانية ﷺ:

"لم يُر للمُتحابَّين إلا النِّكاح"

الله أذن لقلبك بالحلال، فلا تدعوه يومًا إلى الحرام!

عندما ذهب أبو العاص بن الربيع إلى النبي ﷺ قبل البعثة، وقال له: أريد أن أتزوج زينب ابنتك الكبرى.

فقال له النبي: لا أفعل حتى أستأذنها.

ويدخل النبي ﷺ على زينب ويقول لها: ابن خالتك جاءني وقد ذكر اسمك فهل ترضينه زوجًا لك؟

فاحمرّ وجهها وابتسمت، فخرج النبي وتزوجت زينب أبا العاص بن الربيع، لكي تبدأ قصة حب قوية، وأنجبت منه "علي" و "أمامة".

ثم بدأت مشكلةٌ كبيرةٌ حين بعث النبي، وأصبح نبيًّا بينما كان أبو العاص مسافرًا وحين عاد وجد زوجته أسلمت، فدخل عليها من سفره، فقالت له:

- عندي لك خبر عظيم.

فقام وتركها، فاندهشت زينب وتبعته وهي تقول: لقد بُعث أبي نبيًّا وأنا أسلمت.

فقال: هلا أخبرتِني أولًا؟!

وتطل في الأفق مشكلة خطيرة بينهما.. مشكلة عقيدة!

قالت له: ما كنت لأُكذِّب أبي، وما كان أبي كذابًا؛ إنّه الصادق الأمين، ولست وحدي؛ لقد أسلمت أمي وأسلم إخوتي، وأسلم ابن عمي (علي بن أبي طالب)، وأسلم ابن عمتك (عثمان بن عفان)، وأسلم صديقك (أبو بكر الصديق).

فقال: أما أنا فلا أحب الناس أن يقولوا خذل قومه، وكفر بآبائه إرضاءً لزوجته، وما أبوكِ بمتهم.

ثم قال لها: فهلا عذرتِ وقدّرتِ؟

فقالت: ومن يعذر إنْ لم أعذر أنا؟ ولكن أنا زوجتك أعينك على الحق حتى تقدر عليه.

ووفت بكلمتها له ٢٠ سنة.

ظل أبو العاص على كفره، ثم جاءت الهجرة، فذهبت زينب إلى النبي-ﷺ-وقالت: يا رسول الله، أتأذن لي أنْ أبقي مع زوجي.

فقال النبي ﷺ: ابقِي مع زوجكِ وأولادكِ.

وظلت بمكة إلى أنْ حدثت غزوة بدر، وقرّر أبو العاص أن يخرج للحرب في صفوف جيش قريش، وجاءت أصعب اللحظات التي كانت لا تتمنى حدوثها أبدًا.

زوجها يحارب أباها.

فكانت زينب تبكي وتقول: **"اللهم إنّي أخشى من يوم تشرق شمسه فييتم ولدي أو أفقد أبي"**.

ويخرج أبو العاص بن الربيع ويشارك في غزوة بدر، وتنتهي المعركة فيُؤْسَر أبو العاص بن الربيع، وتذهب أخباره لمكة، فتسأل زينب: وماذا فعل أبي؟

فقيل لها: انتصر المسلمون.

فتسجد شكرًا لله، ثم سألت:

- وماذا فعل زوجي؟

فقالوا: أسره حموه.

فقالت: أرسل في فداء زوجي.

ولم يكن لديها شيءٌ ثمينٌ تفتدي به زوجها، فخلعت عقد أمها الذي كانت تُزيِّن به صدرها، وأرسلت العقد مع شقيق أبي العاص بن الربيع إلى رسول الله ﷺ.

وكان النبي جالسًا يتلقى الفدية ويطلق الأسرى، وحين رأى عقد السيدة خديجة سأل: هذا فداء مَن؟!

قالوا: هذا فداء "أبو العاص بن الربيع".

فبكى النبي وقال: هذا عقد خديجة.

لم ينسَ أشياءها في حياتها، أينسى ذلك الحب الدفين بعد موتها؟!

ثم نهض وقال: أيها الناس، إنّ هذا الرجل ما ذممناه صهرًا فهلا فككت أسره؟ وهلا قبلتم أنْ تردوا إليها عقدها؟

فقالوا: نعم يا رسول الله.

فأعطاه النبي العقد، وقال: قل لزينب لا تفرطي في عقد خديجة.

ثم قال له: يا أبا العاص هل لك أن أساررك؟

ثم تنحى به جانبًا وقال له:

- يا أبا العاص إنّ الله أمرني أنْ أُفرِّقَ بين مسلمة وكافر، فهلا رددت إليّ ابنتي؟

فقال: نعم.

وخرجت زينب تستقبل أبا العاص على أبواب مكة، فقال لها حين رآها: إنّي راحل.

فقالت: إلى أين؟

قال: لست أنا الذي سيرتحل، ولكن أنت سترحلين إلى أبيك.

فقالت: لمَ؟

قال: للتفريق بيني وبينك.. فارجعي إلى أبيكِ.

فقالت: فهل لك أن ترافقني وتُسْلِم؟

فقال: لا.

فأخذت ولدها وابنتها وذهبت إلى المدينة. وبدأ الخُطّاب يتقدمون لخطبتها على مدى ست سنوات، وكانت ترفض على أمل أنْ يعود إليها زوجها، وبعد ست سنوات كان أبو العاص قد خرج بقافلة من مكة إلى الشام.

وذَكر الواقدي من طريق محمد بن إبراهيم التيمي قال: خرج أبو العاص في عير لقريش، فبعث النبي ﷺ زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب، فلقوا العِير بناحية العِيص في جمادى الأولى سنة ست، فأخذوا ما فيها وأسَروا ناسًا منهم أبو العاص، ولكن أبو العاص سأل على بيت زينب وطرق بابها قبيل أذان الفجر، فسألته حين رأته: أجئت مسلمًا؟

قال: بل جئت هاربًا.

فقالت: فهل لك إلى أنْ تُسلم؟

فقال: لا.

قالت: فلا تخف، مرحبًا بابن الخالة، مرحبًا بأبي علي وأمامة.

وبعد أن أمّ النبي المسلمين في صلاة الفجر، إذا بصوتٍ يأتي من آخر المسجد: قد أجرتُ أبا العاص بن الربيع.

فقال النبي: هل سمعتم ما سمعت؟

قالوا: نعم يا رسول الله.

قالت زينب: يا رسول الله إنّ أبا العاص إن بعُد فابن الخالة، وإنْ قرب فأبو الولد وقد أجرته يا رسول الله.

فوقف النبي ﷺ وقال: يا أيها الناس إنّ هذا الرجل ما ذممته صهرًا، وإنّ هذا الرجل حدثني فصدقني، ووعدني فوفّى لي، فإن قبلتم أن تردوا إليه ماله وأن تتركوه يعود إلى بلده، فهذا أحب إليّ، وإن أبيتم فالأمر إليكم والحق لكم ولا ألومكم عليه.

فقال الناس: بل نعطه ماله يا رسول الله.

فقال النبي: قد أجرنا من أجرتِ يا زينب.

ثم ذهب إليها عند بيتها وقال لها: يا زينب أكرمي مثواه فإنّه ابن خالتك وإنّه أبو العيال، ولكن لا يقربنك، فإنّه لا يحل لك.

فقالت: نعم يا رسول الله.

فدخلت وقالت لأبي العاص بن الربيع:

- يا أبا العاص أهان عليك فراقنا؟ هل لك أنْ تُسْلم وتبقى معنا.

قال: لا.

وأخذ ماله وعاد إلى مكة، وعند وصوله إلى مكة توقف وقال:

- أيها الناس هذه أموالكم هل بقي لكم شيء؟

فقالوا: جزاك الله خيرًا وفيت أحسن الوفاء.

قال: فإنّي أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ثم دخل المدينة فجرًا وتوجه إلى النبي وقال:

- يا رسول الله أجرتني بالأمس، واليوم جئت أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

وقال أبو العاص بن الربيع: يا رسول الله هل تأذن لي أنْ أراجع زينب؟

إن الحب الصادق لا يموت مهما مرت عليه العقود، فالقلب لا ينسى من أحب يومًا.

فأخذه النبي وقال: تعالَ معي.

ووقف على بيت زينب وطرق الباب وقال: يا زينب إنّ ابن خالتك جاء لي اليوم يستأذنني أنْ يراجعكِ، فهل تقبلين؟

فاحمرّ وجهها وابتسمت.

والغريب أنّه بعد سنة من هذه الواقعة ماتت زينب، فبكاها بكاءً شديدًا حتى رأى الناسُ رسولَ الله يمسح عليه ويهون عليه، فيقول له: والله يا رسول الله ما عدت أطيق الدنيا بغير زينب.

ومات بعد سنة من موت زينب.

أرأيت كيف يسوق القلب المحب إلى دار حبيبه!

"لحظات الحب، هي اللحظات التي تخلد في أذهاننا وتحمل كل معاني السعادة، فلا تندم على لحظةِ حبّ عشتها حتى ولو صارت ذكرى تؤلمك فإذا كانت الزهرة قد جفت وضاع عبيرها ولم يبقَ منها غير الأشواك، فلا تنسَ أنها منحتك يومًا عطرًا جميلًا أسعدك".

وليام شكسبير

عندما تنغلق الأبواب بينك وبين من تحب، لا تبحث عن الأسباب، يكفي تلك المشاعر واللحظات التي لن تموت بداخلك أبدًا، سيرحل الشخص وستذهب معه صورته التي يحملها عقلك، ولكن سيبقى بداخلك فرحة عشتها في يومٍ من الأيام لن تموت أبدًا.

إن الله عندما خلق بداخلك تلك المشاعر، أراد لك السعادة بها، ولكن لا أحد يعلم متى سيأتي نصيبه من تلك السعادة!

لكن الله يعلم، ولذلك قد تمر بالعديد من التجارب وتظن أن سعادتك الدائمة بداخلها، ولكنها لن تكون أكثر من محطة في طريقك الذي تسير إليه..

طريق السعادة

حتى تشعر بالحب من حولك، لا بد أن تحب نفسك، فذلك القلب الدفين بين ثنايا صدرك ينبض من أجلك وحدك، ألا يستحق بضعًا من الحب.

هو لن يستطيع أن ينبض من أجل قلبٍ آخر إذا كنت ترفضه، لا بد أن تؤمن أن ما مررت به لم يكن ليخطئك، وما أخطأك يومًا لم يكن ليصيبك، فذلك هو الطريق الممهد لك قبل أن تأتي إلى تلك الحياة.

"الحب الصادق ليس مشاعرَ وأحاسيسَ فقط بل هو أخلاق وقيم عظيمة ".

شكسبير

وكي تكون صادقًا في حبك، لا تجعل الأيام تغيرك، وتجعلك شخصًا آخر!

احتفظ بكل تلك المعاني والأشياء التي لم تخرج إلا لك، ولا تجعل منها سفينة كي تأخذ ثأرك ممن أحببته يومًا وتركك، فالقلب الصادق لا يؤذي وإن أوذي يومًا.

تأكد أن نصيبك الدائم من الحب ما زال في الطريق إليك، قد تصادفه الآن، قد يكون غدًا، لا تعلم! ولكن كن على يقين أنه سيأتي يومًا ما.

سيحين الوقت الذي تقابل فيه نفسك أولًا، بعدما استيقظت من تلك الغفلة وطردت كل الغبار الحزين من عليها، ستشرق مرة أخرى، ولكن تلك المرة لن يكون بعدها عتمة للأبد.

سيحين الوقت

وسيفرح القلب

الفصل السادس
كما ربياني صغيرًا

حينما تنظر إلى تلك الثمرة بين يديك، وتتأمل فيما بداخلها، تتعجب من قدرة الله ﷻ في إخراجها إليك، عقولنا كبشر لا تستطيع استيعاب كيف تخرج تلك الثمرة من باطن الأرض؟

ولكن هذا يدفعنا إلى اليقين بأنّ لكل شيء أصلًا

كذلك الجذر الذي تتفرع منه تلك الأغصان التي تأتي لنا بكل ما لذّ وطاب، لا بد أن يكون لكل شيء أصل ينحدر منه، لذلك جعل الله أصولنا في عائلاتنا، وبخاصة..

آباؤنا وأمهاتنا.

"مهما كان الرجل فقيرًا فإن كانت لديه أسرة فهو غني"

دان ويلكوكس

تلك العائلة هي التي تغيب في أحضانها عن ذلك العالم وما تواجهه فيه من مساوئ، ذلك ما تعنيه حقا كلمة العائلة.

عندما نبدأ بالأم، أول من تنظر إليه عند مولدك، وأول نبضة تخفق في حبها، فنحن نتكلم عن الجذر الحقيقي لك، التي أسكنك الله مكانًا في قلبها كما أسكنك مكانًا في جسدها، فجعل روحها متعلقة بك ومعك، حتى من قبل أن تأتي إلى تلك الدنيا.

هي الشخص الوحيد الذي دخل قلبك، ولن يخرج منه أبدًا.

"إن أعذب ما تحدثه الشفاه البشرية هو لفظة «الأم»، وأجمل مناداة هي:"يا أمي"، كلمةٌ صغيرةٌ كبيرةٌ مملوءةٌ بالأمل والحب والانعطاف، وكل ما في القلب البشري من الرقة والحلاوة والعذوبة.

الأم هي كل شيء في هذه الحياة، هي التعزية في الحزن، والرجاء في اليأس، والقوة في الضعف، هي ينبوع الحنو والرأفة والشفقة والغفران، فالذي يفقد أمه يفقد صدرًا يسند إليه رأسه ويدًا تباركه وعينًا تحرسه.

كل شيء في الطبيعة يرمز ويتكلم عن الأمومة؛ فالشمس هي أم هذه الأرض ترضعها حرارتها وتحتضنها بنورها، ولا تغادرها عند المساء إلا بعد أن تنوّمها على نغمة أمواج البحر وترنيمة العصافير والسواقي.

وهذه الأرض هي أمّ للأشجار والأزهار تلِدُها وتُرضعها ثم تَفطمها.

والأشجار والأزهار تصير بدورها أمهات حنونات للثمار الشهية والبذور الحية، وأم كل شيء في الكيان هي الروح الكلية الأزلية الأبدية المملوءة بالجمال والمحبة ".

جبران خليل جبران، THE BROKEN WINGS

وقد فضل الله تلك الإنسانة التي لا يعرف قلبها غير الرحمة واللين على سائر العباد فقال في محكم آياته:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤]

الأم دومًا ما تتحمل الضعف من أجلك، وحين يتملك المشيب منها تجد نفسك تتحملها في ضعفها، تلك الروح التي بذلت من أجلك كل ما تملك، ليس لأن الله أمرها بذلك فقط، وإنما لتلك المحبة الدفينة التي زرعها الله في قلبها.

عندما تنهر أمك يومًا، فأنت تخرب ذلك الأساس الذي طالما تحمّل الكثير من العقبات من أجل رؤيتك سعيدًا، هي لم تُرِد يومًا غير ذلك، تلك الابتسامة لا تفارقها أبدًا وهي تنظر إليك تكبر أمامها ومساحة الحب التي تمتلكها في قلبها تزداد، والنبضات أيضا تزداد بالخوف عليك.

بوجود الأم في حياتك، أنت تملك شمسًا خاصة تشرق لك كل يوم، ونجمًا ساطعًا يضيء لك ظلمات الليل، فمهما أحزنتها وبعدت عنها، تظل تمتلك ذلك الحب إلى الأبد بل ويزيد، لأنها أمّ.

ولأننا في تطور ملحوظ، قد يكون يومًا للأفضل، وآخر للأسوأ، قد تظن في أحد الأيام أن إظهار الحب والاحتياج لحضنها الدافئ هو ضعف منك، أو كما يقولون تقليل من رجولتك، ذلك هو ما يسمونه أشباه الرجال الذي لم يطرق الحب باب قلوبهم بعد.

"حينما أنحني لأقبل يديكِ، وأسكب دموع ضعفي فوق صدركِ، وأستجدي نظرات الرضا من عينيكِ، حينها فقط أشعر باكتمال رجولتي".

إسلام شمس الدين

عندما خلق الله آدم عليه السلام، علم أنه لن يستطيع العيش دون ونيسٍ يحن على قلبه الضعيف ويشد بأسه ويكون سيفه في أقوى المعارك، لذلك خلق له السيدة حواء، وخلقها من ضلع أعوج، ليبين مدى الرقة والسكينة التي يتمتع بها هؤلاء، ذلك الحضن الدفين الذي تهرب به من ظلمات الليل البائسة والحنين الموجع والذكريات الحزينة يجعله الله كفيلًا ليرضيك ويشغلك عما أهمك.

فاغتنم وجودها بحياتك، فأنت لا تدري أي الأيام ستمر عليك وحيدًا من دونها!

وحينما ننتقل إلى صديق الدرب الذي يمهد لك الطريق من خلفه، ذلك المحارب المغوار الذي يحميك من أسود الدنيا، الركن القوي الذي تلجأ إليه في الشدائد، والحضن الذي يخبرك من خلاله أنك ما زلت الأقوى، أنه لن يستطيع أحد إيذاءك طالما هو بجانبك، فنحن نتحدث عن.. **الأب**.

قد تعزله الحياة في خانة المصدر دومًا، فمصدر الأموال هو الأب، مصدر الحياة الكريمة هو الأب، إذا أردت شيئًا تهرول إليه حتى يأتيك به، وإذا ظلمك أحدٌ تذهب إليه حتى يرد عنك الأذى، هذا ما يجب أن يكون عليه الأب. ولكن قد تنسيك الحياة أنه شخص يملك تلك المشاعر الساكنة في القلب مثلما تملكها أنت..

فهو إن كان لا يجلس معك دومًا، ويتحمل البعد عنك من أجل الرزق، فهذا لا يعني أنه لا ينشغل بأمورك، أو أنه لا يشعر أنك مهموم وأنك تتعايش مع تلك النزاعات التي تشتكيها إلى ربك كل ليلة وأنت تبكي بين يديه طالبًا الرحمة والإجابة.

بل ذلك يكون الأصعب دومًا، فوجودك بداخل المشكلة قد يفتح لك أبوابًا من الحلول، ولكن البعد عنها يجعلك كالغريب الذي لم يصل إلى موطنه بعد.

"لا عِز كعِزّ الأب؛ ولا دلالَ بعد دلالِه؛ ثمُ إنّ الأب كالماء أينما يّزخ يروي ويُحيي؛ فهو من ينحني لتستقيم أنت، فرِفقًا به؛ فقلب الأب يتَسع لكلّ أبنائه؛ فلا خوف إلا في بُعدِه؛ ولا ألمَ إلا بفقده".

حينما تتألم لتعرضك لنوعٍ من الأذى، تأكد أن الألم الذي يصيب قلب المحب لك أضعافه حتى وإن لم تشعر به.

حين خلقنا الله، خلق الفطرة بداخلنا، وفطرة الأب هي الحب والخوف على أبنائه، وكره أي أذى قد يصيبهم يومًا. قد نتعجب يومًا من ضرورة ارتداء الملابس الثقيلة في حين إن الأرصاد أعلنت بحرارة ذلك اليوم، ولكن فور نزولنا، نجد الطقس بدأ بتقلباته، وهبت الرياح بنسائمها، فأي قلب قد يشعر بذلك إلا ذاك القلب!

تذكر تلك اللحظات عندما يعود إلى البيت، يأتيك ليطمئن عليك، وقد يسألك عن ما مررت به في ذلك اليوم، وإن لم يسألك، فهو يشعر من أول كلمة تتفوه بها هل أنت سعيد أم لا، ينتظر دومًا أن تأتيه لتطلب منه أن يحضر لك شيئًا فيقوم بذلك بمنتهى السعادة، كيف لا وهي فطرة الله بداخله.

قد تشعر أنه لم يوفِّك حقك، أو أنك كنت تريده أن يفعل كذا ولم يفعله، قد تشعر أنه بَعُد عنك لحظات، ولكن..

تأكد أنه أتاك كل ما يستطيع، حتى وإن ما زال ينقصك بعض الأشياء.

"الأب هو الرجل الوحيد في العالم الذي يأخذ من نفسه ليعطيك، قد لا يكون أعطاك كل ما تتمناه لكن تأكد أنه أعطاك كل ما يملك".

رفقًا بوالديك

ما تحدثنا عنهم سابقًا هم النموذج الأمثل للآباء والأمهات، ولكن هناك البعض ممن يحيدون عن تلك الصفات، فلا يشعر أبناؤهم بمشاعر الأبوة التي تجعلهم يهرولون إليهم، بل قد ينفرون منهم!

تختلف صفات هذا النوع من الآباء، فأحدهم قد أخذته الدنيا بمشاغلها واهتماماتها فلم يجد الوقت ليجلس مع أبنائه ليتحدث إليهم، قد جعلته الحياة يهرول في سيره إلى العمل ونسي أن الله سيحاسبه على هؤلاء الأبناء، ولكن مع ظروف الحياة التي يتخذها المرء لباسًا دومًا يخفي فيه تقصيره، فلنا في ذلك أسوة حسنة وهو رسول الله ﷺ، هل تعلم ما كانت أعماله التي يديرها؟

إنه كان يدير أمة بأكملها، ولم يمنعه ذلك يومًا من إتيان أهل بيته ليحدثهم ويفرج عنهم ما أهمهم، علم أن الرزق بيد الله، فعلى المرء أن يسعى دون تضييع واجبات عائلته.

" روى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجد، أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت مع النبي ﷺ في سفر، قالت: فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم (أي ازدادت في الوزن بعض الشيء) سابقته فسبقني، فقال: هذه بتلك السبقة، وفي لفظ: سابقني النبي ﷺ فسبقته، فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم سابقني فسبقني. فقال: هذه بتلك".

أرأيت حسن معاشرة المرء وملاطفته لأهل بيته، لم تمنعه تلك الحروب من أن يؤدي واجبه تجاه تلك الزوجة التي صبرت معه ما لم تصبر عليه أنثى.

وحتى في أصعب الأوقات، وقت وفاته، لم يقصر في أداء واجبه، ولم يبخل بشعور الحب الذي يكنه بداخله للسيدة فاطمة رضي الله عنها.

"عن عائشة -رضي الله عنها- قالت:(تتحدث عن يوم وفاته)

كنَّ أزواجُ النبيِّ -ﷺ- عنده لم تغادِرْ منهنَّ واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي ما تُخطئُ مِشيتُها من مِشيةِ رسول الله -ﷺ- شيئًا، فلما رآها رحَّب بها فقال: مرحبًا بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله .

ثم سارَّها (أسرَّ لها بكلام) فبكت بكاءً شديدًا، فلما رأى جزَعَها سارَّها الثانية فضحكتْ، فقلتُ لها: خصَّكِ رسول الله -ﷺ- من بين نسائه بالسِّرار ثم أنت تبكِين؟ فلما قام رسول الله -ﷺ- سألتُها: ما قال لك رسول الله؟

قالت: ما كنت أُفشي على رسول الله -ﷺ- سِرَّه.

قالت: فلما تُوُفِّيَ رسولُ الله، قلتُ: عزمتُ عليكِ بما لي عليك من الحقِّ، لما حدَّثتِني ما قال لك رسول الله -ﷺ-؟

فقالت: أما الآن فنعم، أما حين سارَّني في المرةِ الأولى، فأخبَرَني أنَّ جبريل كان يُعارِضُه القرآن في كلِّ سنة مرةً أو مرتين، وإنه عارضَه الآن مرَّتين، وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتَّقي

الله واصبِري، فإنه نِعمَ السَّلَف أنا لك.

قالت: فبكيتُ بكائي الذي رأيتِ، فلما رأى جزَعي سارَّني الثانيةَ فقال: يا فاطمة! أما ترضَي أن تكوني سيِّدة نساء المؤمنِين، أو سيدة نساءِ هذه الأمة؟

قالت: فضحِكتُ ضحِكي الذي رأيته ".

رواه البخاري.

ولا بد من ذاك القلب الحنون أن يلقى حبًّا من ابنته ليس له مثيل في ذلك العالم، فعن أنس بن مالك -ﷺ- قال:

" لما ثقل النبي -ﷺ- جعل يتغشاه، فقالت فاطمة: واكرب أباه، فقال لها -ﷺ-: ليس على أبيك كرب بعد اليوم ".

رواه البخاري

هل ما زالت تعتقد أن عملك قد يمنعك يومًا عن رؤية أبنائك والتحدث إليهم؟!

في النوع السابق قد تجد الآباء يعانون أكثر من الأمهات، باعتبارهم أرباب الأسرة في أغلب الأحوال، أما في النوع القادم ستجد الآباء والأمهات مشتركين في نفس الخصائص.

هذا النوع يتلخص مضمونه في مقولة **"فاقد الشيء لا يعطيه"**

قد لا يستطيعون البوح بتلك المشاعر الفياضة تجاه أبنائهم، نظرًا لأنهم لم يعيشوا مثلها، لم يأتِ أبوهم يومًا من العمل ليأخذهم

في أحضانه ويسألهم عن أحوالهم، لم تجلس أمهم معهم كل ليلة تبادلهم الأحاديث، لم يشعروا بتلك المشاعر التي أنت في حاجة إليها.

فكيف يستطيعون فعلها؟!

حين نتحدث عن مسألة العطاء، نجد الكثير من المواقف تثبت عكس مقولة **"فاقد الشيء لا يعطيه"** تمامًا!

قامت إحدى قنوات التجارب الاجتماعية على اليوتيوب بعمل تجربة اجتماعية لقياس مسألة العطاء لدى الناس، فأخذ الممثل يطوف بالناس الذين يتناولون طعامهم، يتظاهر بأنه جائع، ويطلب منهم إعطاءه جزءًا صغيرًا من طعامهم يسد به جوعه، فكان الرفض يأتي من الناس الذين يبدو عليهم يسر الحال أو سعة العيش، أما العجيب هو أن من وافق على مشاركته الطعام كان شابًّا فقيرًا، ليس له مأوى، هو الوحيد الذي وافق على مشاركته لوجبته الخاصة، ليس هذا فحسب ولكن بسعة صدر وراحة نفس.

هذا الفقير لا يضمن وجبته التالية، وعلى الرغم من ذلك فقد كان أشد كرمًا ممن يملك المال.

كان أحد الشيوخ ينصح طلابه بأنه إذا أردت أفضل طريقة للتوقف عن ذنب ما، فهي نصح الآخرين بعدم فعله!

أيُعقل أن نطلب من الناس ما لا نفعله؟

كيف والله ﷻ يقول:

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤]

فكيف ندعو الناس إلى ما لا نفعل؟!

يرد الشيخ: إذا نصحت الناس بصدقٍ بعدم اقتراف الذنب، ستستحي نفسك أن تأتيه، ولن تصيبه أبدًا.

هنا نتوقف قليلًا، هل لو قام الآباء بتلك التجربة سينجحون؟!

هل لو قمت ذات يوم بأخذ ابنك أو ابنتك بين أحضانك دون سببٍ معينٍ، ستشعر بتلك السعادة والطمأنينة التي ستغمر قلوبهم حينها؟!

هل لو خصصت جزءًا من وقتك كل يوم للحديث مع أولادك، صغارًا كانوا أو كبارًا، ستعيش حينها تلك الطفولة التي لم تجد ذاك الاهتمام فيها مجددا؟!

الإجابة هي: نعم.

فعندما نطبق تلك المقولة بصياغتها الصحيحة تكون:

"فاقد الشيء يعطيه ببذخٍ، لأنه أدرى الناس بمرارة فقدانه".

عندما تجعل أولادك يشعرون بما فقدته، ستتولد بداخلهم مشاعر حب وطمأنينة تجاهك تجعلك تشعر بذاك الحب الذي حرمت منه، ستشعر أنكَ حقًّا أب، وأنكِ حقًّا أمّ.

ستبدأ تلك الحياة التي تملؤها البهجة من كل جانب، ستضيء قلوبهم ولن تنطفئ بعد الآن.

"العائلة التي أتيت منها ليست بأهمية العائلة التي ستؤسسها"

رينغ لاردنر

قد تختلف القوانين، وتختلف معها العادات والتقاليد، ولكنّ شيئًا واحدًا يبقى ثابتًا مهما طال الأمر، ذلك الشيء هو أنت.

عندما تعطي لنفسك فرصةً جديدةً من أجل التعرف على تلك الحياة، ستنظر إليها من عيون أبنائك الذين يحبونك حقًّا، وحينها سيشعرون بغيابك عنهم عندما تذهب بعيدًا ولو لقليل لأنهم فقدوا الأب الصديق المهتم بأحوالهم.

وأنت يا صديقي.. قوتك الدائمة في أبيك وأمك، مهما كنت تملك من الاختلافات عنهما، تأكد أنهما سيحبانك بكل ما أصابك وسينبض قلبهما من أجلك، حتى إن أصابتك يومًا بعض الندوب، هما مصابان بفطرة الحب تجاهك، ولن تستطيع الأيام تغيير ذلك.

أما الآن فسأسدي إليك بعض العبارات، ليست هي بنصائح، ولكن لنجعلها تجديدًا لعهد المحبة والألفة، حتى يستيقظ الأبناء بين أحضان ذويهم، وحتى لا يبحثوا يومًا عن الحب خارج تلك الأسرة.

في البداية دعنا نتوجه إلى الأبناء..

إيمانك الكامل يا صديقي أنّ أباك وأمك يكنّان لكَ من الحب ما يكفي لمحاربة ذلك العالم من أجلك دومًا ما يختصر المسافات، فالمرء منا عندما يتأكد من محبة أحدهم له، قد يقوم بعمل الكثير من التضحيات من أجله، وقد يتحمل ما لا يطيق، حتى وإن لم يُظهر لك ذلك الحب، اجعل كفايتك أنه حين تشتد الظروف ويزداد الأعداء من حولك، سيكونان الدرع الحامي لك، وسيدافعان عن قلبك أمام كل من خذله يومًا.

"العائلة هي الملاذ في عالم لا قلب له"

كريستوفر لاستش

قال الله عز وجل:

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾ [الإسراء: ٢٤]

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"رَغِم أَنف مَنْ أَدرْكَ أَبَويْهِ عِنْدَ الْكِبرِ أَحدُهُمَا أَوْ كِلاهُما فَلمْ يدْخلِ الجَنَّةَ"

أنت بيدك فرصة عظيمة للوصول إلى الجنة إن بررت أبويك، فالله حين خلقنا زرع بداخلنا فطرة الرفق واللين، تأكد أن بداخلك ما يلين لهما ويرفق بحالهما، ينتظر منك فقط أن تعطي له الإشارة ليبرهما ويفوز بجنة الله ﷻ.

قد ترى اختلافًا كبيرًا بين تفكيركما، وذلك لأن الأجيال مختلفة، قد يُنفرك خوفهما الذي تراه زائدًا عليك، ولكن دعني أسألك: لو كنت تمتلك جوهرةً ثمينةً أتتركها للأتربة تخفي جمالها؟! أم ستحافظ عليها بكل ما أوتيت من قوة؟

تلك هي العبارة.. أنت جوهرتهما.

قد يزيدان بعض الشيء في قلقهما، ولكن عليك أنت تتفهم أن ذلك الإحساس نابعٌ من القلب، لعل قلبك يجد لهما العذر الذي يمحو منك كل ذلك الغضب.

قديمًا قالوا:

" من يزد عمره عنك بيوم، يعلم أكثر منك بسنة كاملة"

عندما تطلب منهم أحد الطلبات التي ترى فيها منفعتك ويرفضونها، هم لا يقصدون إحداث أي أذى لك على الإطلاق، ولكنهم يعلمون تلك الحياة! فقد عاشوها من قبلك، قد يكونون مروا من قبل على تلك المحطات التي تقف على أعتابها الآن، فتأكد أنهم ما أبعدوك عن شيء، إلا ليقربوك من الأفضل لك، قد تكون لا تعلمه! ولكنهم يعلمون، لأنهم يرونك بقلبهم.. ليس بأعينهم.

تأكد أنه ما دام أحدهما أو كلاهما معك، فأنت في نعمة من الله، فلا تجعل الشيطان ونفسك الأمارة بالسوء تُنغص عليك تلك الأيام التي تقضيها معهما، فأنت لا تعلم مع طلوع شمس الغد هل سيكونان بجانبك؟ أم صعدا إلى خالقك؟!

قد تأتي عليك بعض الأوقات، تُحدث نفسك أنك باحتياج إليهما ولكنك ترى أنهما لا يشعران بك.

تحتاج لحضن أبيك الدافئ كي يخبرك أنك بخير، وأن تلك الحياة ليست بالسوء الذي تراه الآن، تحتاج حديثه عن العوض الذي سيرزقك الله به لينسيك ما فقدت، وأنه سيرضيك ويرضي قلبك الضعيف الذي مالت به الأمواج إلى طريق لم يعرفه مسبقا.. طريق الحزن!

تحتاجين لأمكِ.. صديقتكِ قبل أن تكون ملاذكِ وحماكِ الدائم، تحدثينها بكل ما أصابكِ، وما آلت إليه أحوالكِ في ذلك العالم الذي يقسو علينا أحيانًا!

في تلك اللحظات عندما يمتلئ قلبك بذلك الشعور، اذهب واحصل عليه بنفسك، لا تنتظره أن يأتي، اذهب وتخفى في أحضان أبيك، تأكد أن فطرة الله ستجعل مشاعر الأبوة بداخله تنتفض ليضمك إليه وحينها ستشعر بنبضات قلبه.

وأنتِ، اجعليها صديقتكِ بأن تشركيها في أمور حياتكِ كلها، قد لا تصبح أفضل صديقة، ولكن تأكدي أن الحب الذي تكنه لكِ سيزداد، فما أجمل أن تجتمع مشاعر الأمومة والصداقة في قلبٍ ينبض من أجمل شخص واحد فقط.. أنتِ.

والآن يا معشر الآباء.

نعلم جميعًا أنه منذ لحظة ولادة طفلك، تعيش حياتك من أجله فقط، تجدّ وتجتهد في عملك من أجل كسب الرزق حتى تأتي إليه بكل شيء قد يخطر على باله، تتمنى دومًا أن يعيش حياةً أفضل منك، وألا يخيب له الحظ فيفتح للحزن مكانًا في قلبه.

تلك هي الأبوة، المشاعر التي فطرك الله عليها تحركك من أجل إسعاد جزء منك.

ترى فيه ابتسامتك، وطفولتك، وبعض الصفات من شخصيتك، تشعر بنبضات قلبه التي تخشى أن تنبض بالحزن يومًا!

تحبه من جميع جوارحك، وتفعل كل ما بوسعك حتى تهيئ له حياةً كريمةً، ولكن كما تريد أن تهيئ له حياةً كريمةً، يجب أولًا أن تهيئه هو لتلك الحياة!

تتبدل الحياة كل ليلة، التطور الملحوظ للتكنولوجيا واستخدامها في معظم أوقات حياتنا جعلت المشاعر الأسرية تتبدد، أصابها شيء من الغبار محا أجزاءً من السعادة التي كانت تصيبنا عندما نجلس مع عائلاتنا.. كذلك الحياة مع أولادك، قد يمر عليهم بعض المواقف التي مرت عليك، ولكن قد يختلف الزمان، قد يختلف الشعور الذي أصاب قلوبهم عن الذي أصاب قلبك حينها، أعلم أنهم جزء منك.. ولكن فطرة الحياة هي الاختلاف، فلا تعلم ما هي المشاعر التي سكنت بداخلهم وأنت لا تعلمها!

فقد يُحزنهم أبسط الأشياء، وقد يُسعدهم أيضًا القليل وأنت لا تدري.

"من كان له أولاد لا يبقى فقيرًا طويلًا، ومن ليس له أبناء لا يبقى نبيلًا طويلًا "

مثل صيني

اعلم أن أولادك رزقٌ من الله لك، ترى الكثير من حولك يطوفون بلاد العالم من أجل الحصول على ما تملكه أنت دون أي عناء، يريدون الحصول على جزء منهم يؤنسهم في وحدتهم ويزرع السرور بداخل قلوبهم.

يجب أن توقن أن ذلك القلب الذي ينبض بداخله قد تغيره الدنيا وتجعل نبضاته هشة لحزن أصابه، وحينها يجب أن تعلم ما الذي أصابه.

قد تشغلك الدنيا، وقد يشغلك الرزق، ولكن تأكد أن أولادك أهم صفقة في حياتك، إن شئت زفرت بها لتملك سعادة أبدية.. أو فقدتها لتعيش الحياة وحيدًا حتى وإن كانوا بجانبك!

فمن أصعب المشاعر التي تخطر على قلب الابن أن يكون أبوه بجانبه، ولكنه لا يستطيع التحدث إليه، لأنه يعلم أنه لن يشعر بما أصابه! قد يراه شيئًا عاديًّا قد أصاب الكثير من قبله، لا يستلزم كل ذاك الحزن، وهنا يُفطر قلب الصغير مجددًا! فالبطل الذي يراه منذ صغره لم يصبح بطلًا بعد الآن.

إذا اتخذته صديقًا قبل أن يكون ولدًا، تأكد أنك ستملك قلبه، لن تجعله يبحث عن الحب في قلب إحداهن أو تبحث عن الحب في قلب أحدهم، وإن خذَلَتْه أو خذلها، تعود بقلب منكسر لم يعد للإصلاح فيه مكان!

اجعل نفسك حب أولادك هو الأول والأخير، الفارس الذي تراه ابنتك في أحلامها، الصديق والأب الحنون والأخ الحافظ للأسرار لولدك.

فإن نبضت قلوبهم بحب أحدهم أو إحداهن ذات يوم، كان ذلك الحب مصباحًا إضافيًّا ينير ذلك القلب، ولكنه لن يصبح الحب الأول طالما اكتسبت قلوبهم قبل ذلك الموعد.

وتذكر جيدًا..

إن الحب الأول هو ما يدوم

"من لا يستطيع أن يقوم بواجب الأبوة، لا يحق له أن يتزوج وينجب أبناء"

جان جاك روسو

تأكد أن الله حينما رزقك بأولادك، جعل لك رزقًا سيصيبك حتمًا حتى وإن فكرت في الهروب منه، ولكنه أيضًا بلّغك على لسان رسوله الكريم أنك ستُسأل عن هذا الرزق:

فعن عبد الله بن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي على النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ على أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ على بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْؤولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ على مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"

متفق عليه

سيسألك الله عن تلك الرعية، فأعد للسؤال جوابًا.

تأكد أن الحياة ليست بالطويلة، فإن كانوا بجانبك الآن، قد ترحل أو يرحلون غدًا، فاغتنم تلك الأوقات..

تذوق السعادة التي تفيض من قلوبهم تجاهك، قلوبهم التي تنبض بالحب من أجلك، واحذر دومًا أن تفتح للحزن بابًا في قلوبهم، فأشد الندبات التي تطغى على الإنسان، هي التي تصيب قلبه!

فتخيل إن أصابته كلمة أو فعل أو عدم اهتمام كنت أنت مصدره، ستنقلب حياته حينها رأسًا على عقب، فالقلوب لا تنسى، وإن طالت الأيام!

هم أولادك..

هم أحبابك..

هم سعادتك..

فحافظ على تلك الألفة، ولا تسمح لأي غبار طمس أي لحظة جميلة بينكم.

وأنت كذلك يا صديقي، افتح قلبك لحبهم، وللتجاوز عن كل الأفعال التي يرفضها، تأكد أنه ما زال يحبهم.

ازرعوا البسمة بينكم

وازرعوا الألفة والود في بيوتكم

فلحظات السعادة لا تغني عنها الكنوز

الفصل الأخير
بداية جديدة

"أن تكون نفسك هو أعظم تحدٍّ في الحياة، في الوقت الذي يحاول العالم جاهدًا أن تكون نسخةً من أشخاصٍ آخرين!"

أنونيموس

مع كل تحدٍّ جديدٍ يطرأ على حياتك، يتغير معه الكثير فيك، قد تصاب بالخوف على ضياع الحلم بينما كنت لا تخشى شيئًا قبله، تصبح كمن اكتسب شيئًا يخشى فقده.

ومع كل يومٍ جديدٍ، تفتح لك الحياة أبوابها لترى أشياء لم تكن تراها من قبل، قد تكون ألوانًا تضيء لك الطريق.. وقد تكون بعض الحقائق التي كنت تغفل عنها.

ومع السعادة التي تصيبك بتلك الألوان والحزن الذي يعتريك بتلك الحقائق المؤلمة، تكمل مسارك الذي لا تعلم أين نهايته، ما هي محطته المقبلة؟! هل هي السعادة الأبدية؟ أم مقدار جديد من الخذلان والألم؟!

لا تعلم شيئًا، ولكنك ما زلت تسير، قد تراه الطريق الوحيد، قد ترى فيه النجاة، ولكنك لم توقن بعد، أنه حقًّا طريقك!

نحن الآن في تلك المحطة، لنحاول أن ننير لك الطريق قدر المستطاع، سنتحدث عن ما تحتاجه نفسك من أجل تلك البداية الجديدة، دعنا نطلق عليها.

بدايتك الحقيقية

كل الأحداث والظروف التي قد تمر عليك لا بد وأن تغير شيئًا بداخلك، قد لا تستطيع تمييزه الآن، ولكن سيمر عليك أحد المواقف التي سيتوقف حينها الزمان والمكان، حتى تتأكد أنك بالفعل تغيرت، حين تشعر بنبضات قلبك المتسارعة وأنت على باب غرفة الولادة الخاصة بزوجتك.. تنتظر مولودًا ينبض قلبه من نبضاتك، يُحيي فيك آمالًا كثيرة قد أبعدتها الحياة، ويسرح بخيالك لمستقبل مشرق تملؤه السعادة والبهجة، تتذكر حين كنت لا تبالي بأي مخلوق سوى نفسك، ولا تسعى لسعادة إنسان إلا أنت.

تدرك الآن كم تغيرت! كم استطاعت الحياة تغييرك، ولكن التعجب هنا لماذا لم نصبح كذلك من البداية!

لمَ أنفقنا كل تلك السنوات من أجل البحث عن شيء ظنًّا أنه سيكون سعادتنا بينما كان هناك الكثير ينتظرنا وتنتظرنا السعادة معه؟

لماذا قررنا أن نحيد عن الطريق، ونسير في طريقٍ آخر لا تحكمه إلا شهواتنا وعقلنا الباطن الذي لم يرد سوى انفصالنا عن الحياة الحقيقية! كي نعيش بداخل جدران وهمية لا يعلم المرء فيها ماهية الشعور الذي أصابه.

هل هو حقًّا سعيد؟! أم مجرد وقت زائف وستعود إليه الأحزان مرة أخرى.

من أحد الجدران الوهمية التي تنتشر في حياتنا بشكل مكثف تلك التي يطلقون عليها "السوشيال ميديا"، التي اختصرت حالنا وأحوالنا إلى كلمة: صباح الخير التي ترسلها لأبيك أو أخيك قبل أن تذهب إلى عملك، وكلمة البقاء لله حتى تنعي بها أحد الأحباب لأنك لم تستطع زيارته، أو كلمة مبروك لتهنئة أحدهم على زفافه أو نجاح له لأنك لم تذهب لتشاركه سعادته.

لماذا تذهب وتضيع الكثير من وقتك بينما تستطيع إرسال كلمة من هاتفك، مجرد كلمة، ظنًّا منك أنها ستحمل السعادة إليه!

"التواصل هو العلاج الذي يناسب جميع الناس لكل الأمراض"

TOM PETERS

التواصل الحقيقي.. أن تذهب إلى صديقك الذي يخبرك أن شيئًا قد أصابه لتعلم ما هو، وتحاول أن تزيح عن قلبه تلك الهموم، أليست تلك الصداقة الحقيقية؟!

أن تذهب إلى والدتك قبل عملك تقبل يديها وتطلب منها الدعاء لك حتى يرزقك الله.

أن تذهب لتبارك لأصدقائك وتشعر معهم بالنجاح.

تلك هي الحياة التي خلقنا الله لها، ليست الحياة الوهمية التي صنعناها نحن لأنفسنا!

فلعل أول ما نبدأ به حياتنا الجديدة أن نعيش في واقعنا أكثر من الماضي، أن نعلم جيدًا متى يكون استخدام وسائل التواصل جيدًا، ومتى يكون البعد عنها هو المكسب الأكبر.

أخرج الطبراني في الكبير وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج عن ابن عمر ﷺ، أن النبي ﷺ قال:

"أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله ﷻ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضًى يوم القيامة، ومن مشي مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، ثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل"

حسنه الألباني -رحمه الله-

عندما نتحدث عن الخير، فإننا نتحدث عن عددٍ لا يحصى من الأعمال التي تنتمي إلى تلك الكلمة، فإدخالك السرور على قلب مسلمٍ خير، والكلمة الطيبة أيضًا خير.

الخير هو يد العون التي تمدها إلى أحبائك وأنت تحتاج اليد التي تخرجك من أعماق الحزن الذي لم يحِن موعد خروجك منه بعد!

كل ثانية تمر علينا نرى فيها مجالًا للخير قد نفعله، لكن نفوسنا تنشغل أحيانًا بمنفعتها فقط، فتجد صوتًا من داخلك يسألك: هل هذا الشخص يستحق ذلك الخير أكثر منك؟!

تلك المعلومة الدراسية التي بحثت عنها مرارًا حتى توصلت إليها، هل يستحق أن تقدمها له على طبقٍ من ذهبٍ دون عناء، كل تلك الأسئلة قد تدور في مخيلتنا يومًا ما، ولكننا نغفل دومًا عن كلمة تسمى: الأصل!

أصل وصولنا لتلك المعلومة بعد البحث مرارًا وتكرارًا، هل هذا كان بفضل مجهودنا وتفكيرنا البارع فقط؟! أم بمساعدة ربانية جعلت الطرق تتفتح لنا، ثم جعلت عقلنا يستوعب تلك المعلومات؟

فقد يسلك الإنسان طرقًا كثيرة دون وصول، إلا بمساعدة علام الغيوب.

فهل ما زلتَ ترى أن زميلك الدراسي أو في العمل لا يستحق معرفة تلك المعلومة؟!

أم أيقنت أنك قد تكون سببًا في توصيل رزق أحدهم، فلا تقطع ذلك الطريق.

وهذا أبو الدحداح الأنصاري، لما نزل قول الله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥]

قال للرسول - ﷺ-: وإنّ الله ليريد منَّا القرض؟

قال عليه الصلاة والسلام: نعم يا أبا الدحداح.

قال: أرني يدك يا رسول الله.

فناوله النبي - ﷺ- يده، فقال أبو الدحداح: إني قد أقرضت ربي ﷻ حائطي (أي بستاني، وكان فيه ٦٠٠ نخلة).

وأم الدحداح فيه وعيالها، فناداها: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجي من الحائط (يعني بذلك: اخرجي من البستان فقد أقرضته ربي ﷻ)

أرأيت كيف يصل حب الخير في قلوبنا إلى الزهد المالي والدنيوي أملًا أن يرضى الله عنا؟

"وعند الترمذي يقول عمر بن الخطاب - ﷺ- أمرنا رسول الله - ﷺ- أن نتصدق، ووافق ذلك مني مالًا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله - ﷺ-: ما أبقيت لأهلك؟ فقلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال - ﷺ- له: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قال عمر: لا أسبقه إلى شيء أبدًا".

إن تركت نفسك وأهلك وأموالك وتلك الدنيا لله ورسوله، أتظنهم سيضيعون يومًا؟!

قال رسول الله ﷺ: "إن لله عبادًا اختصهم لقضاء حوائج الناس، حببهم للخير وحبب الخير إليهم، أولئك الناجون من عذاب يوم القيامة"

أخرجه ابن أبي الدنيا

اجعل في حياتك الجديدة جانبًا للخير، تتقرب به دومًا إلى الله ﷻ، عسى الله أن يجعلك من هؤلاء الناجين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

"قال سيدنا محمد -ﷺ-: من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سرّه الله عز وجل يوم القيامة "

رواه الطبراني

تلك البسمة التي تخرج من وجهك تنبئ بها صديقك أن القادم سيكون أجمل غالية جدًّا عند الله، فاغتنمها واعلم أنها ستعود إليك عندما تحتاج يومًا إليها، فالله لا ينسى.

ومن ضمن وسائل تلك البداية الجديدة أن تتفهم حكمة الله في المنع والعطاء.

فكلنا نعلم أن الحياة لا تعطي لأحدٍ كل شيء، وقد ترى يومًا صديقك يمتلك شيئًا تدعو به كل ليلة وتجتهد من أجل الحصول عليه، ولكن الله لم يقدره لك بعد فتتساءل: لماذا يؤخر الله مطلبك، لماذا تأخر الفرج؟!

تحدث نفسك أن لا أحد يعلم ما بداخلك، لا يعلم أحدهم كم الدموع التي تذرفها كل ليلة، كل ذلك من أجل ماذا؟! من أجل الدعاء الذي طالت به الليالي ولم يحِن موعده؟!

كل شخص منا لديه أمنياته التي يسأل الله بها في كل ليلة، إن أتته مسرعة فرح بها وشكر الله عليها، وإن تأخرت أصابه شيء من الفتور والذي قد ينقلب إلى حزن يملأ جدران قلبه، فلا أحد غيره يعلم كم تلك الأمنية مهمة له، من يعلم أنه بقي فترة من الزمن قد طالت لا يدعو بغيرها!

ولكن يبقى هناك مفهوم لو تعرضنا له وفهمناه حق المعرفة لهدأت تلك الأحزان قليلًا، قد لا تنتهي.. لأن طبيعتنا البشرية تجعلنا نشعر! والكثير لا يعلم ما معنى أن تشعر أو أن تحزن..

"ربّما أعطاك فمنعك، وربّما منعك فأعطاك، ومتى فتح لك باب الفهم في المنع، صار المنع عين العطاء ".

ابن عطاء الله السكندري

حينما يبتليك الله بمرضٍ ما، وتذهب إلى الطبيب، قد يمنع عنك بعض المأكولات والمشروبات التي تحبها، لأنه علم أنها ستصيبك بمكروه، فهل الطبيب يكرهك؟!

كذلك مع الله ﷻ، وله المثل الأعلى، يعلم ما سيصيبك إن أجاب دعوتك الآن، قد يؤخرها عليك بعض الشيء حتى تكون جاهزًا لها، وقد يرزقك أفضل منها.. يرزقك ما يناسبك.

ستدعو الله بالزوجة الصالحة، وقد تختزلها في واحدةٍ باسمها، تدعو الله أن يجمعك بها في حلاله، ولكنك لا تعلم هل ستكون حقًّا الزوجة التي ستأخذ بيدك إليه! أم التي ستبعدك عن خيره وكرمه ورحمته؟

أنت تبني دعاءك على الحاضر، ترى السعادة الآن في رؤيتها فتريدها دومًا بجانبك، لكن الله يعلم ما في المستقبل، الله يعلم هل ستتغير القلوب أم ستبقى على حالها.

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

" إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء، ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك".

فالله يعلم وأنت لا تعلم.

كذلك في الوظائف.. الأحلام التي تحلم بها، تأكد أن الله ﷻ يدبر لك في الغيب ما هو أجمل وأفضل مما تطلبه، قد يكون الصبر هو ما يفصلك عن تلك السعادة التي ستعوضك عن كل ما فقدته يومًا.

"العقبة الوحيدة بينك وبين تحقيق حلمك هي الرغبة في المحاولة والإيمان بإمكانية تحقيقه"

جويل براون

مع الصبر الكامل، والإيمان التام بالله، يجب أن تحاول مرارًا وتكرارًا إن كنت تثق أن هذا الحلم قد خلق لك وليس لغيرك، فالمرء لا يعيش تلك الحياة إلا مرة واحدة، فلا تهدر حياتك دون حلم تعيش لأجله، ولا تهدرها مع أشخاصٍ لا يعرفون قيمتك.

عش أيامك لنفسك ولحلمك، واترك ما أحزنك خلفك.

"أتمنى أن تحيا حياةً تفخر بها، وإذا لم تنجح أتمنى أن تملك القوة لتبدأ من جديد"

إريك روث

اليقين بأن الفشل ليس النهاية، وأنه ما دمت تسقط وتقوم فأنت على الطريق الصحيح، مهما بَعُد الوصول، وزادت العقبات، اجعل إيمانك قويًّا أنك ستصل يومًا إلى ما تريد، وحينها ستبني عالمًا من السعادة لا يصلح للعيش فيه سواك، ذلك العالم مبني لسعادتك وراحتك أنت فقط.

"نحن ندرك أن الهزيمة الكاملة هي الطريق الوحيد الذي يجعلنا قادرين على أن نخطو خطواتنا الأولى نحو التحرر والقوة، إن قبولنا بالضعف الشخصي يتحول في النهاية ليكون صخرة صلدة أو أساسًا متينًا، يمكن أن تشيد عليها حياةً سعيدةً هادفة"

بل ولسون

نسمع كثيرًا بعض القصص والتجارب عن أشخاصٍ نجحوا بعد محاولات فشل عديدة، هؤلاء أشخاص ليسوا بملائكة، بل هم بشر مثلنا.. تمر عليهم بعض الأوقات التي يقل فيها إيمانهم بأنفسهم، ولكنهم يتجاوزونها.

إن الأم التي لم يبلغ طفلها عامه الأول بعد، ترى الكثير في لياليها من قلة نومٍ، وإرهاق شديد، ولكنها تعلم أن هذا سيمضي، فحب ذلك الرضيع يملأ جوانب قلبها، يقويها على تلك المتاعب، كذلك الشغف الذي يسكن قلبك، يستطيع أن يجعلك تعبر الكثير من المصاعب التي قد لا تتخيل عبورها، فقط لأنك تثق بحلمك، تثق أنك ستصل إليه.

اعلم أنه لا مكان للمتخاذل في تلك الحياة، إما أن تقف مجددًا وتحارب لأجل حلمك، أو سينتهي بك المطاف وحيدًا بين جدران غرفتك! وتأكد أن من تخلى عنك ذات يوم، سيعود إليك مجددًا، عندما تصل لذاك الحلم الذي طالما تمنيته، ولكنك حينها ستراه شيئًا عاديًّا، فالانبهار الذي أصابك في البداية قد اختفى مع اختفاء

البسمة على وجهك، ولكنها قد عادت اليوم مجددًا، عادت من أجل حلمك فقط، وكل شيء سواه سيكون كالزينة التي تزين حياتك، ولكنه لن يعد أساسًا أبدًا كما كان من قبل.

الآن فقط ستحقق ما تريد، تلك الحياة الجديدة التي كنت تتمناها هي اليوم بين يديك، فلا تجعل شيئًا يعكر عليك ذلك الصفو، اجعل تركيزك فقط كيف ستبني قواعد حياتك الجديدة.

"مهما كانت تحديات الحياة التي تواجهك، تذكر دائمًا أن تنظر إلى قمة الجبل، فأنت بهذا تتذكر العظمة وتنظر إليها، تذكر هذا ولا تدع مشكلة ما أو أمرًا ما، مهما بدا لك خطيرًا أن يثبط من عزيمتك، ولا تدع شيئًا ما، مهما كان أن يصرفك عن القمة، هذه الفكرة هي الوحيدة التي أريدك ألا تتخلى عنها "

ألفونسو أورتيس

أنت لم تصل إلى ما أنت عليه اليوم بطريقٍ سهلٍ خالٍ من العقبات، بل فقدت الكثير والكثير من أجل ذلك الوصول، فلا تتخلَّ عنه بسهولة، واعلم أن الله كما دعاك للعمل للآخرة، فإنه أمرك أيضًا بالعمل في الدنيا، فتوكل عليه واعمل لدنياك كما تعمل لآخرتك.

"ليس خيركم من عمل للآخرة وترك الدنيا، أو عمل للدنيا وترك الآخرة، ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه، وإنما الحرج في الرغبة فيما تجاوز قدر الحاجة وزاد على حد الكفاية"

عمر بن الخطاب

الله كما أعطاك ذلك الحلم، قادرٌ على الحفاظ عليه من أجلك، فلا تخف يومًا وأنت سائرٌ مع الله.

تلك كانت بعض الوَصِيّات من أجل بدايتك الجديدة..

قد تساعدك من أجل حياة أفضل، من أجل بداية لا يدق الحزن أبوابها، ولا ينجلي عنها يومًا البسمة والسعادة.

تذكر دومًا أن تلك الحياة لن يصنعها أحد سواك، ومهما توالت عليك الزلات، تأكد أنك ستصل يومًا ما.. وحينما تصل، ستكون قد أنهيت الرحلة التي عشنا خلالها بعض الوقت.

تلك الرحلة التي أطلقنا عليها معًا:

بداية طريق

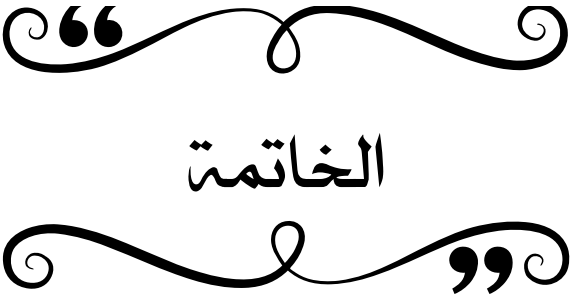

الخاتمة

لعل الله حين أراد كتابة ذلك الكتاب، أراد أن يمنح كل شخصٍ منا فرصةً، فرصة حقيقية كي يمحو كل ما أصابه من أحزان، لعلك الآن رأيت طريقك الجديد الذي لا يوجد به أي سوء، لعلك الآن توصلت إلى نفسك، نفسك الحقيقية التي تسكن بداخلك ويصيبها ما يصيبك، سيعيش معك ذلك الكتاب في أحوال السعادة والحزن، ستجده دومًا صديقك<

ولا تنسَ كلماتي..

إن الله أعظم من أن يخلقك ويتركك للحياة، تأكد دائمًا أنه يمهد لك الطريق في جميع أقداره، حتى لو حدثتك نفسك بعكس هذا، طمئنها بأن الله معها، الله بجانبها..

طريقك ينتظرك.. فابدأ الآن

فهرس

الإهداء..... ٥
المقدمة..... ٧
العدو الأول..... ٩
الفصل الثاني لبسك وحش..... ٢٩
الفصل الثالث مش قادر أنسى!..... ٤٧
الفصل الرابع مفيش نصيب..... ٦١
الفصل الخامس الحب..... ٨٣
الفصل السادس كما ربياني صغيرًا..... ١٠٣
الفصل الأخير بداية جديدة..... ١٢٥
الخاتمة ١٣٩